أروع ما قيل في الزهد

الدكتور يحيى شامي

دار الفكر العربي
بيروت

أروع ما قيل في الزهد

دار الفكر العربي

للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مقدمة

الزهد، في اللغة، خلاف الرغبة في الشيء، أو الحرص عليه. وفي الاصطلاح هو الكفّ عن المحارم، والتـوبة إلى الله؛ وهو القناعـة، والاكتفاء بـالحاجـة، والرضى بـالقليل، وصرف النظر عن بهرج الحياة وزينتها؛ وهو نهي النفس عن الهوى، وتخلية القلب، وصفاؤه، ورقته وشفافيته.

والزهد أحد أغراض الشعر العربي الغنائي، خطا خطواته الأولى بصورة غير مستقلة، فظهر أول ما ظهر، في تضاعيف القصيـدة الحكمية، أو غيـر الحكمية، ومـا لبث أن استقـل بنفسه، فكان ثمة قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وأضحى له روّاده وعشاقه وممثلوه الحقيقيون.

والزهد بخلاف التصوف الذي هو الانقطاع التام عن الدنيا، والانصراف إلى العبادة، والاستغراق في ذات الله، والذوبان في عالم الروح الأرحب؛ وهو يشكل بحد ذاته مذهباً فكرياً قائماً بنفسه، ويحتاج إلى بحث مستقل ليس في هذا الكتاب

مجال الحديث عنه، أو انتخاب نماذج شعرية منه.

ولا ينكر دور الإسلام في تعزيز ظاهرة الزهد، ذلك أن تعاليم الدين الجديد تحث، بوجه عام، على الورع، والتزود بالتقوى، والعمل للآخرة بالتهجد والعبارة، والانقطاع عن الرغبة في الحياة الدنيا.

وثمة عوامل كان لها تأثير في ازدهار الشعر الزهدي، ولا سيما في العصر العباسي، وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة خاصةً، منها العامل السياسي، ويتمثل بانصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد بعيداً عن الخوض في المسائل السياسية والدينية والمذهبية التي كانت قائمة يوم ذاك، والتي كانت تشكل لبّ الصراع بين العرب والموالي، والأموية والعباسية، والقيسية واليمنية، وبين القدرية والجبرية، والمرجئة والمعتزلة والأشعرية، والشيعية والسنيّة... إلخ.

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور شعر الزهد، العامل الاجتماعي الأخلاقي، ويتمثل بظهور فئة من الشعراء الذين ساءهم شيوع اللهو والمجون، وتفشي الخمرة والغناء، وكثرة عدد الجواري والإماء والغلمان، فلم يستطع هؤلاء الشعراء أن يقفوا في وجه هذا التيار الجائش، فعكفوا على ذواتهم، وراحوا يعبرون عن نقمتهم وسخطهم، بالإخلاص إلى أنفسهم نجيّاً، وبالتعبير عن صفاء النفس بأروع آيات الشعر الزهدي.

وثمة عامل هو العامل الثقافي الذي على أساسه تبلورت مفاهيم الزهد، وأرسيت قواعده، ويتمثل بتأثير الأفكار الصوفية الدخيلة من فارسية وهندية ويونانية ومسيحية، فظهر أثر هذا كله في فكر عدد من كبار الشعراء الزهاد.

وأياً يكن العامل المؤثر في ظهور شعر الزهد، هذا النبع الثري الذي فاضت به قرائح الشعراء، وإليه اطمأنت نفوسهم التي تمردت على الطمع والشره والترف، مستنيرة بهدي العقل والدين، فإن مما لا شك فيه أن بواكير هذا الشعر ظهرت في العصر الجاهلي، وإن لنا في شعر بشر بن أبي خازم، ولبيد بن ربيعة العامري، وعدي بن زيد العبادي، في العصر المذكور، وفي حكمة علي بن أبي طالب وفي الشعر المنسوب إليه، في العصر الإسلامي، وفي شعر منصور التميمي، ومحمد بن يسير، وعبد الله بن المبارك، ومحمود الوراق، وصالح بن عبد القدوس، وأبي نواس، وأبي العتاهية، في العصر العباسي، ما يعزز ما ذهبنا إليه من قبل، فكانت أشعار هؤلاء جميعاً، وأشعار غيرهم من الشعراء دليلاً صادقاً على تعزيز ظاهره الزهد، وبروز هذا الغرض الشعري الذي أخذ مكانه عالياً في أغراض الشعر الغنائي العربي.

واستتباعاً للفائدة، وتمشياً مع أصول البحث المنهجي، وانسجاماً مع تدرج الشعر في عصور الأدب العربي، ولأن جلّ

ما قيل في الزهد، كـان ثمرة مواهب شعراء العصر العباسي، فإننا قسمنا هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي التالية:

١ ـ في ما قبل العصر العباسي.
٢ ـ في العصر العباسي.
٣ ـ في ما بعد العصر العباسي.

والمهم في الأمر، هو أننا حرصنا، في هذا الكتاب، على أن نشرك القارىء في أمر اختيارنـا أفضل مـا قيل في شعـر الزهد، ومن هنا كان اسم الكتاب «أروع ما قيل في الزهد»، فإن سرّ قارئنا ما اخترناه له فنعمّـا ذلك، وإن سـاءه أو أضرّ بذوقه، فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق وسـوء الاختيار. وإلى اللقاء في غرض آخر من أغراض شعرنا العربي الغنائي.

د. يحيى شامي

الباب الأول

في ما قبل العصر العباسي

عدي بن زيد

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

من رائع الشعر الحكمي والزهدي معاً، وهو على قدر كبير من الجودة، والمتانة، والرقة، والسلاسة معاً، ما قاله الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة قد نزل، ومعه عدي، في ظل شجرة مونقة ليلهو هناك، فقال له عدي: أيها الملك، أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ
أَنَّهُ مُوفٍ على قرنِ زوالِ
وصُروفُ الدّهرِ لا يبقى لها
ولما تأتي بهِ صُمُّ الجبال

رُبَّ ركْبٍ قد أناخوا حَوْلَنا
يمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزّلال
والأباريقُ عليها فُدُمٌ
وجيادُ الخيلِ تَرْدي في الجلال
عمروا الدَّهْرَ بعيشٍ حَسَنٍ
قطعوا دهرَهُمُ غيرَ عجال
ثم أضحوا عَصَفَ الدَهرُ بِهِمْ
وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالِ(١)

* * *

(أينَ أهل الديار)

ومن أحسن ما قاله عدي، وكان سفيان بن عيينة يستحسنه، قوله:

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ
ثم عادٌ مِن بعدِها وثمودُ
بينما همْ على الأسِرَةِ والأنماطِ
أفضَتْ إلى التُرابِ الخدودُ

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٩٤. مكتبة المعارف. بيروت. وموفٍ: مشرف. وصروف الدهر: حوادثه وشدائده. وصم الجبال القوية الصلبة. والزلال: الصافي الرائق العذب. والفدم: أغطية أباريق الخمر. وتردي: تسرع.

وصحيح أمس يعودُ مريضاً

وهو أدنى للموتِ فمن يعودُ

ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ

بعد ذا كلِّه وذاكَ الوعيدُ(١)

* * *

(أين كسرى)

، رائع شعر عدي، قوله في الزهد، وفي وصف الدنيا:

أيْنَ كِسْرى كسرى الملوكِ

أنوشروانَ أمْ أينَ قبلَه سابورُ

وبنو الأصفرِ الكرامِ ملوك الرّومِ

لم يبقَ منهمُ مذكور

وأخو الحضْنِ إذْ بناه وإذ دجلة

تُجبى إليه والخابورُ

شادَهُ مرمراً وجلَّلَه كِلْساً

فللطّيْرِ في ذراهُ وكور

لم يهبْه ريبُ المنونِ فبادَ

الملكُ عنه فبابُه مهجور

د الفريد، لابن عبد ربه ٣٢٣/١. لجنة التأليف والترجمة والنشر
اهرة ١٩٦٥م.

ثم صاروا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ
فألوَتْ بهِ الصَّبَا والدّبورُ[1]

* * *

(والدهر في كل حاليّه دهارير)

ومن أروع شعر الزهد، وأرقه، وأكثره إثارة، قول جبلة بن حريث العذري مناجياً نفسه، مخاطباً قلبه:

يا قلبُ إنَّكَ في الأحياءِ مغرورُ
فَاذْكُرْ وهلْ ينفعنْكَ اليومَ تذكيرُ
حتّى متى أنتَ فيها مُدْنَفٌ وَلِهٌ
لا يستفِزَّنْكَ منها البدرُ والحورُ
قد بُحْتَ بِالجهلِ لا تُخفيهِ عنْ أحدٍ
حتى جرتْ بكَ أطلاقٌ محاضير
تريدُ أمراً فما تدرِي أعاجلُهُ
خيرٌ لِنَفْسِكَ أمْ ما فيهِ تأخير
فَاسْتغفرِ اللَّهَ خيراً وَارْضَيَنَّ بهِ
فبينما العسرُ إذْ دارتْ مياسير

---

(١) نفسه ١/١٢٥.

وبينمــا المــرءُ في الأحيــاءِ مغتبــطاً

إذْ صــارَ في الرَّمْسِ تعفوه الأعـاصيـر

حـتى كــأنْ لـم يـكـنْ إلاّ تــوهُّـمُــهُ

والـدّهـرُ في كــلِّ حـاليْــهِ دهـاريـر

يبكي الغــريبُ عليــه لـيسَ يعــرفُــه

وذو قــرابتِــه فــي الـحـيِّ مـســرور

فــذاكَ آخــرُ عهــدٍ من أخيــك إذا

مـا ضُمّنَتْ شِلْوَهُ اللُّحْدُ المحـافيـر(١)

* * *

(فإنّ العزّ في الياس)

ومن زهديات بشر بن أبي خازم، قوله:

إضْرَعْ إلى اللّهِ لا تضرعْ إلى النّـاسِ

وَاقْنَـعْ بيـأسٍ فـإنَّ العِـزَّ في اليــاسِ

وَاسْتغْنِ عن كلِّ ذي قُرْبى وذي رحِمٍ

إنَّ الغنيَّ من اسْتَغنى عن النــاسِ(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٦.

(٢) نفسه ١/٣٢٨.

(وجرى بالخير سعد)

وقريب من المعنى الأول قوله:

لـيسَ يُـجـدي الـحـرصُ والسّـ
ـعـيُ إذا لـم يـكُ جـدُّ
مـا لِـمـا قـدْ قـدَّرَ الـلّهُ
مِـنَ الأمـرِ مَـرَدُّ
قـد جـرى بـالـشّـرِّ نـحسٌ
وجـرى بـالـخـيـرِ سـعـد
وجـرى الـنـاسُ عـلى جـر
يـهـمُ قـبـلُ وبـعـدُ
أمِـنـوا الـدّهـرَ ومـا لـلدهـرِ
والأيـامِ عـهـدُ
غَـالَـهُـمْ فَـاصْـطلمَ الـجـمـعَ
وأفـنـي مـا أعـدُّوا
إنّهـا الـدُّنيـا فـلا تحـفلْ بـ
ـهـا: جَـزْرٌ ومـدّ[1]

* * *

---

(١) نفسه ١/٣٢٩. وغالهم: أهلكهم. واصطلم: قطع وأهلك.

(بلينا وما تبلى النجوم الطوالع)

ومن جيد ما قاله أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر الجاهلي المخضرم، أبيات زهدية حكمية رائعة ضمنها مرثاته لأخيه، ومنها قوله:

بَلينــا ومــا تَبْلى النُّجــومُ الــطّوالــعُ
وتبقى الجبــالُ بعــدَنــا والمصــانــعُ
ومــا المـرءُ إلاّ كــالهـلالِ وضــوئِـه
يحــورُ رمـاداً بعــدَ إذْ هـو ســاطــع
ألـيسَ ورائـي إنْ تـراخـتْ مـنيّـتي
لـزومُ العصـا تُحنى عليهـا الأصابـع
أُخَبِّـرُ أخبــارَ القـرونِ التـي مضـتْ
أدبُّ كـأنّـي كـلّمـا قـمْتُ راكـع
فـلا تـبعـدَنْ إنَّ الـمنيَّـة مـوعـدٌ
عـليـنـا فـدانٍ لِـلطُّلوع وطـالـع
لَعَمْرُكَ ما تـدري الضّواربُ بـالحصى
ولا زاجـراتُ الطّيـرِ ما اللّهُ صـانـع[1]

* * *

(١) ديوان لبيد ٨٩ ـ ٩٠. تحقيق إحسان عباس الكويت ١٩٦٢ م. والمصانع: =

(وكل نعيم لا محالة زائل)

ومن أبيات لبيد الحكيمة، المشهورة، وفيها نلمس روح الزهد في الحياة، وهو من أصدق القول:

أَلا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ
وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

* * *

(وبإذن الله ريثي وعجل)

ومن جيد حكمه وزهده، قوله:

مَن هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهْتدى
ناعمَ البالِ وَمَنْ شاءَ أضلّ
أحمدُ اللَّهَ فلا نِدَّ له
بيديْه الخيرُ ما شاءَ فعل
إنَّ تَقْوى ربِّنا خيرُ نفلْ
وبإذنِ اللَّهِ رَيْثي وَعَجَلْ(١)

* * *

= المباني والدور. ويحور: يرجع. وضوارب الحصى: اللاتي يضربن الطير. وزاجراته: الصائحات بالطير لمعرفة الخير من الشر تبعاً لطيرانه يمنة أو يسرة.

(١) رسالة الغفران، للمعري، ص ١٢٥. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م. والريث: المهل. والنفل. العطاء والخير والند: النظير.

(أين الأسرّة والتيجان والحلل)

الأبيات التالية، وهي تدخل في صميم شعر الزهد، وتمثل الذروة منه حكمة ومثلاً وخاطرة وعبرة، لا يعرف قائلها بالتحديد، وإن نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب، فهي موجودة في طبعات ديوانه. وإذا فاتت الإمام علياً، فإنها لم تفت أحد أبنائه وأحفاده من الأئمة الذين نسبت إلى بعضهم كالإمام الكاظم، والإمام الرضا. وفي مطلق الأحوال فإن القصيدة إن فاتت هؤلاء فقد تكون نظمت في عهد العباسيين، بعد أن أفلت زمام الخلافة من أيديهم وصارت لعبة في أيدي القواد والولاة من الأعاجم. وأياً يكن الدافع على وضعها، وأياً كان صاحبها فإننا نثبت أكبر قدر من أبياتها، نظراً إلى أهميتها، وهي التالية[1]:

باتُوا على قُلَلِ الأَجبالِ تحرسُهم
غُلْبُ الرِّجالِ فلمْ تنفعْهُمْ القُلَلُ[2]
واسْتُنْزلوا بعدَ عِزٍّ عنْ معاقِلهِمْ
فأُودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٩٧. المطبعة العلمية. القاهرة ١٣١٩ هـ.

(٢) قلل الجبال: رؤوسها. وغلب الرجال: أقوياؤهم وأشداؤهم.

نـــاداهمُ صـارخٌ مِنْ بعــدِمــا دُفِنــوا
أيـنَ الأَسِــرَّةُ والـتّـيـجــانُ والْـحُـلَلُ
أينَ الــوجــوهُ التي كــانتْ مُنَعَّمــةً
مِن دونِها تُضْـرَبُ الأستـارُ والكِلَلُ[1]
فَـأَفْصَـحَ القبــرُ عنهمْ حينَ ســاءلهم:
تلكَ الــوجـوهُ عليهــا الــدّودُ يَقْتَتِــل
قـدْ طــالما أكلوا دهــراً ومـا شـرِبــوا
فأصبحوا بعـدَ طولِ الأكـلِ قد أُكِلوا
وطــالمـا كثَّـروا الأمـــوالَ وادَّخــروا
فخلّفــوهــا عــلى الأعــداءِ وَارْتحـلوا
وطــالمـــا شيّــدوا دُوراً لِتَحْـصِنَـهم
ففــارقــوا الــدّورَ والأهليـنَ وانْتـقلوا
أضحتْ مســاكِنُـهم وَحْـشــاً مُعَــطَّلةً
وساكنوهــا إلى الأجداثِ قـد رَحلوا[2]
ســلِ الـخليفــةَ إذ وافـتْ مـنـيَّـتُــه
أينَ الجنـودُ وأينَ الخيـلُ والْخَــوَل[3]

---

(١) الكلل، جمع كلة، وهي الستر الدقيق.
(٢) الأجداث: القبور.
(٣) الخول: الخدم.

أين الكنــوزُ التي كــانتْ مفــاتحُهــا
تنــوءُ بِالْعصبــةِ المقــوينَ لــوْ حَملوا[1]
أينَ العبيــدُ الأُولى أرصــدْتَهم عــدداً
أينَ العــديــدُ وأينَ البيْضُ والأَسَــلَ[2]
أينَ الفــوارسُ والغلمــانُ مــا صنعــوا
أين الصّــوارمُ والــخِــطِّيَّــةُ الــذُّبُــل
أين الكــفــاةُ ألمْ يــكفــوا خــليفــتَهُــمْ
لــمّــا رَأَوْه صــريعــاً وهْــو يبتــهــل
أين الكمــاةُ أمــا حــامــوا أمــا غضِبــوا
أين الحماةُ الّتي تُحمى بها الــدُّوَل[3]
أين الــرّمــاةُ ألم تمنــعْ بِــأَسْــهُمِــهِمْ
لمّــا أَتَتْــكَ سِهــامُ المــوتِ تنتضــل
هيهــاتَ مــا منعــوا ضَيْمــاً ولا دفعــوا
عنــكَ المنيّــةَ إذْ وافى بهــا الأجــل
مــا ســاعــدوكَ ولا واســاكَ أقــربُهم
بــلْ أسلمــوكَ لهــا يــا بِئْسَ مــا فعلوا

---

(١) تنوء: تعجز.

(٢) البيض: السيوف. والأسل: الرماح.

(٣) الكماة: الأبطال. والضيم: الذل.

مـــا بــالُ قبــرِكَ لا يُنْشى بــه أحــدٌ
ولا يَــطُورُ بــه مِنْ بَيْـنِهـم رجـل[1]
ما بـالُ قصــرِكَ وحشـاً لا أنيسَ بــه
يغشــاكَ مِن كنفيْــهِ الــرُّوعُ والـوهــل
مــا بــالُ ذكــرِكَ منسيّــاً ومُــطَّرَحــاً
وكلُّهم بِــاقْتسـامِ المــالِ قـد شغلوا
لا تُـنْكِــرنَّ فـمــا دامتْ عـلى مـلِكٍ
إلَّا أنــاخَ عليــه المــوتُ والــوجــل
وكيفَ يُــرجى دوامُ العيشِ متّـصــلاً
وروحُــه بِجبــالِ الـمــوتِ متّصــل
وجسمُــه لِلبُــانــاتِ الــرّدى غــرضٌ
ومُــلْكُــهُ زائــلٌ عــنــه ومنـتـقــل[2]

* * *

(لك الحمد يا ذا الجود)

ومن مأثور كلام علي بن أبي طالب في الزهد، وفي التقرب إلى الله تعالى، والشكر له، قوله:

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلى
تبــاركْتَ تُعــطي مَن تشــاءُ وتمنــعُ

(١) ينشى: يعلم. ويطور: يطوف.
(٢) اللبانات: الأغراض. والردى: الهلاك.

إلـهي وخـلاّقـي وحِـرْزي ومـوئلي
إليـكَ لـدى الإعسـارِ واليُسـرِ أفـزع
إلـهي لئِنْ خَيّبتنـي وطـردْتَنـي
فمن ذا الـذي أرجـو ومن ذا أشفِّـع
إلـهي تـرى حـالـي وذلّي وفـاقـتي
وأنتَ مناجـاتـي الخـفيَّـة تـسمـع
إلهي فـلا تقـطعْ رجـائي ولا تُـزِغْ
فؤادي فلي في بـابِ جـودِكَ مـطمـع
إلـهي لئـنْ عـذّبتـني ألـفَ حـجّـةٍ
فـحبـلُ رجـائـي منـكَ لا يـتقـطّع
إلهي إذا لم تعفُ عن غيـر محسنٍ
فـمنْ لـمُسـيء بِـالـهـوى يتـمـتّـع
إلهي لئـنْ فـرّطْتُ فـي طلبِ التُّقـى
فهـا أنـا إثْـرَ العفـوِ أقفـو وأتبـع
إلهي أقلْني عثـرتي وَامْـحُ حَـوْبـتي
فـإنـي مقـرٌّ خـائـفٌ مـتـضـرّع(١)

* * *

(١) تـاريخ الآداب العـربية ١/١٦١. رشيـد يوسف عـطا الله. ط ١. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م. والحوبة: الذنب.

(فما بال متروك به الحرّ يبخل)

وثمة بيتان منسوبان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، يتضمنان معنى سامياً، هو الحث على التخلي عن جمع المال، والحرص على طلبه وجمعه، وهما في غاية الروعة والجودة، والبيتان هما التاليان:

إذا كانتِ الأرزاقُ قسْماً مُقَدَّراً
فقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ
ولو كانتِ الأمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها
فما بالُ متروكٍ بهِ الحرُّ يَبْخَلُ

* * *

(فادع الإله وأحسن الأعمالا)

ولأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو، واضع علم النحو المشهور، أبيات في العزوف عن الدنيا، وفي الزهد والقناعة، وهي تتميز بالسهولة والسلاسة:

وإذا طلبْتَ مِنَ الْحوائِجِ حاجةً
فَادْعُ الإلهَ وأَحْسِنِ الأعمالا

فَلَيُعْطِيَنَّكَ ما أرادَ بِقدرةٍ
فهْو اللطيفُ لما أرادَ فعالا
وَدَعِ العبادَ ولا تكنْ بِطلابِهم
لَهِجاً تَضَعْضَعُ لِلعبادِ سُؤالا
إنَّ العبادَ وشأنَهم وأمورَهم
بيدِ الإلٰهِ يقلّبُ الأحوالا(١)

* * *

(فسيكفيك مسيئاً عمله)

ومن جيد قول أبي الأسود وبليغه:

أيّها الآملُ ما ليسَ لهُ
رُبَّما غَرَّ سفيهاً أمَلُهْ
رُبَّ مَن ماتَ يُمنيّ نفسَهُ
حالَ مِن دونِ مناهُ أجَلُهُ
والفتى المحتالُ في ما نابَه
ربّما ضاقتْ عليه حِيَلُهْ
قلْ لمنْ قد ماتَ في أشعارِه
يهلكُ المرءُ ويبقى مَثَلُهْ

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١/١٠٨. ط بولاق وط دار الكتب
وتضعضع: تذل.

نـافسِ المحسنَ فـي إحسـانِـه
فَـسَيَـكْفـيـكَ مـسيئـاً عـمـلُهْ[1]

* * *

(وإني لترّاك الضغينة)

ومن جيد ما قاله شبيب بن البرصاء الشاعر الإسلامي الأموي:

وإنـي لَتَـرّاكُ الـضَّغـينـةِ قـدْ بـدا
ثـراهـا مِنَ الْمـولى فـلا أَسْتَثيـرُهـا
مـخـافـةَ أنْ تـجـنـي عـليّ وإنّـمـا
يَهيـجُ كبيـراتِ الأمـورِ صـغيـرُهـا
فـلا خيـرَ في العيـدانِ إلاّ صِـلابُهـا
ولا نـاهضاتِ الـطّيرِ إلاّ صقـورُهـا[2]

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

(٢) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٢/٧٠٦. ط ١. دار القلم. بيروت والضعينة: الذل. وناهضات الطير: الباسطة أجنحتها.

(يا خاطب الدنيا)

ومن المجانين الذين كانوا عقلاء، وما هم بمجانين، سعدون المجنون، العالم والزاهد البصري؛ وله شعر في الحكمة والزهد لا يخلو من طرافة وجدة، وإن منْه ذاك الذي يذم به الدنيا، داعياً إلى التزود بالتقوى والعمل الصالح. يقول سعدون، وهو من أسهل القول:

يـا خـاطبَ الـدّنيـا إلى نَفْسي
إنَّ لـهـا في كـلِّ يـومٍ خـليـلْ
مـا أقبـحَ الـدّنيـا بِـخُـطّابِـهـا
تـقـتـلُهم عـمـداً قـتيـلاً قـتيـلْ
تـسـتـنكـحُ الـبعـلَ وقـد وُطِّئَـتْ
في مـوضـعٍ آخـرَ منه البـديـلْ
إنّـي لَـمُـغْـتَـرٌّ وإنَّ الـبِـلى
يـعمـلُ في نفسي قليـلاً قـليـلْ
تـزوّدوا لِـلـمـوتِ زاداً فـقـدْ
نـادى مُـناديـهِ الـرّحيـلَ الـرحيـلْ(١)

---

(١) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث، لعلي عطوي. ص ٢٢٨. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.

(كذاك الدهر يبكيكا)

ومن جيد شعره الزهدي، ذاك الذي يخاطب به الرشيد، واعظاً ومحذِّراً، وكان الرشيد قد خرج من مكة في موكب مهيب:

هَبِ الدُّنيا تُواتيكا
أليسَ الموتُ يأتيكا
فما تصنعُ بالدّنيا
وظِلُّ الميلِ يَكْفيكا
ألا يا طالبَ الدّنيا
دعِ الدنيا لِشانيكا
كما أضحكَكَ الدّهرُ
كذاكَ الدهرُ يُبْكيكا[1]

* * *

حميد بن ثور

(فلا تأمنن بيات المنون)

ومن الشعر الزهدي الذي قاله حميد بن ثور الهلالي، الشاعر الإسلامي، والصحابي، مرشداً الإنسان إلى المصير المحتوم، قوله:

(١) نفسه ص ١٨٣.

فــلا تَــأْمــنَــنَّ بــيــاتَ الــمــنــونِ
وكــنْ حــذِراً حــدَّ أظــفــارِهــا
فــإنَّ الــمــنــيَّــةَ مــا أَسْــأَرَتْ
مِــنَ الْــقــومِ عــادتْ لإســآرِهــا(١)

* * *

ميسون بنت بحدل

(ولبس عباءة وتقر عيني)

ومن ألطف ما قيل في الزهد في الحياة، والعزوف عن مباهجها، شعر قالته ميسون بنت بحدل الكلبية، وكان معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنّت إلى البادية، التي نشأت فيها فقالت هذه الأبيات السهلة ذات المسحة الزهدية. وهي التالية:

لَــبَــيْــتٌ تَــخْــفــقُ الأرْواحُ فــيــهِ
أَحَــبُّ إلــيَّ مِــن قــصــرٍ مُــنــيــفِ
ولــبْسُ عــبــاءةٍ وتــقــرَّ عــيــنــي
أحــبُّ إلــيَّ مِــن لــبسِ الــشّــفــوفِ

---

(١) حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره، لرضوان النجار. ص ١٧٥. رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.

وأصــواتُ الــرِّيــاحِ بــكــلِّ فــجٍّ
أحــبّ إلـيَّ مِــن نــقــرِ الــدُّفــوف
وأكــلُ كُــسَــيْــرةٍ فــي كــســرِ بيــتي
أحــبُّ إلـيّ مِــن أكــلِ الــرغــيــف
وخــرقٌ مِــن بــنــي عــمّــي نــحــيــفٌ
أحــبُّ إلـيَّ مِــن عِــلْـجٍ عــليـفِ(١)

* * *

مالك بن دينار

(تفانوا جميعاً)

ومن ألطف المعاني الزهدية، في أرق الشعر وأجزله معاً، ما قاله مالك بن دينار، مولى بن أسامة بن لؤي، وكان زاهداً ورعاً، ومن رجال الحديث. يقول مالك:

أتــيْــتُ الــقــبــورَ فــنــاديــتُــهــنَّ
أيْــنَ الــمــعــظَّمُ والــمــحــتــقَــرْ
وأيــنَ الــمــذلُّ لِــســلطانِــه
وأيــنَ الــمــزكّــى إذا مــا افْــتَــخَــرْ

(١) تاريخ الآداب العربية ص ٣٤. والأرواح، في البيت الأول، الرياح، ومنيف: عال. والشفوف: ما رقّ من الثياب. والعلج: الضخم. والعليف: السمين. وهنا تشير إلى معاوية.

تفانَوْا جميعاً فما مُخبرٌ
ومـاتوا جميعاً وماتَ الخبَرْ
تروحُ وتغدو بناتُ الثّرى
وتُمحى محاسنُ تلكَ الصُّوَر
فيا سائِلي عنْ أُناسٍ مضوا
أمالَكَ في ما تَرى مُعْتَبَرْ(١)

* * *

الطرماح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(عجباً ما عجبت)

ومن الشعراء الوعاظ الحاثين على الزهد في متاع الدنيا، والداعين إلى التمسك بحبل الله، وإلى العمل بالتقوى، الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج. يقول الطرماح:

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدّةَ
العمرِ ومودٍ إذا انْقضى عددُهْ
عجباً ما عجبْتُ مِن جامعِ المالِ
يُباهي بهِ ويرتفدُه
ويضيعُ الذي يصيّرُه اللّهُ
إليه فليسَ يعتقده

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٣٣. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

يومَ لا ينفعُ المخولَ
ذا الشروةِ خِلاّنُه ولا ولده
ثم يُؤتى بهِ وخصماه
وسطَ السّجنِ والإنسُ رجلُه ويده
خاشع الطّرفِ ليسَ ينفعُه
ثَمَّ أمانيهِ ولا لَدَدُهْ[1]

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م)

(أخاف وراء القبر)

والفرزدق على الرغم من فاحش هجائه، وخبث لسانه، فإنه نسك في أواخر حياته، ومما قاله في النسك والزهد، مصوراً هول يوم الحساب والقيامة:

أخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِني
أشدَّ منَ القبرِ التهاباً وأضْيَقا
إذا قادني يومَ القيامةِ قائدٌ
عنيفٌ وسوّاقٌ يسوقُ المرزدقا
لقد خابَ مِن أولاد آدمَ من مشى
إلى النّارِ مغلولَ القِلادةِ موثقا

(١) شعر الزهد، ص ١١٨

إذا شــربــوا فيهــا الحمـيمَ رأيْـتَهـم
يـذوبـونَ مِن حـرِّ الحميمِ تَمَـزُّقـا[(١)]

* * *

عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ/ ٧٤٩ م)

(ما نالني من غنى)

من الشعراء الذين ثابوا إلى رشـدهـم من بعد غيٍّ ولهـو، الشـاعر الأمـوي عبد الله بن معـاويـة، من كـرام بني هـاشم وأجوادهم. ولقد صوّر في شعره شيئاً من الندامة على ما فات من عمره في معصية الله، كما ضمنه ملامح من الوعظ والزهد والإرشاد والتوكل على الله والرضى بالقليل من الـرزق الذي كتب للمرء، وأنى يفوته، أو يدرك دون ما قسم له، وحول هذا المبحث الأخير يقول عبد الله:

قَـدْ يُرْزَقُ المـرءُ لا مِن فضـلِ حيلتِـه
ويُصْرَفُ الرِّزقُ عنْ ذي الحيلةِ الدّاهي
مـا نـالني مِن غِنىً يـومـاً ولا عــدمٍ
إلاّ وقــولـي عليــه الْـحـمــدُ لِـلّهِ[(٢)]

* * *

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٧١.
(٢) العقد الفريد ٢/ ١٨٣، والعدم: الفقر.

(ولكن سل الله من فضله)

ومن مواعظه التي تدور حول المعنى السابق، قوله:

ألا تـزعِ الـقـلبَ عـنْ جـهـلِهِ
وعـمّـا تُـؤنِّـبُ مِـنْ أجـلِهِ
فـأبـدِلَ بـعـد الصِّـبا حـلمـهُ
وأقـصـرَ ذو الـعـذْلِ عـن عـذلـه
ولا تُـتـبـع الـطّرفَ مـا لا تـنـالُ
ولـكـنْ سـلِ الـلَّهَ مِـن فـضـلِه
فـكـمْ مِـن مُـقِـلٍّ يـنـالُ الـغِـنى
ويُـحـمـدُ فـي رزقِـه كـلِّهِ(١)

* * *

(الموت هول داخل)

وأمام هول الموت، وصروف الدهر يقف الشاعر متأملاً متسائلاً فيقول:

يـا قَـومُ كـيـفَ سـواغُ عـيشٍ
لـيسَ تُـؤمَـنُ نـاجـعـاتُـهْ

(١) الأغاني ١١/٧٨. وتـزع: تـردع. والحلم، العقـل، خـلاف الجهـل، والعذل: اللوم.

لـيـسـتْ تـزالُ مـطلّةً

تـغـدو عـليـكَ مُـنَغِـصّـاتـه

الـمـوتُ هـولٌ داخـلٌ

يـومـاً عـلى كـرْهٍ أنـاتـهُ

لا بـدَّ لـلحـذرِ الـنّـفـورِ

مـنَ أنْ تُـقَـنِّـصَـهُ رُمـاتُـه(١)

* * *

(١) المصدر نفسه ٢١٣/٣ . والحذر النفور: الأسد الهصور.

الباب الثاني

في العصر العباسي

ربيعة الرّقي

(فإنّ المنيّة من خلفه)

ومن الشعر الزهدي الهاديء النبرة، اللين العبارة، ما قاله ربيعة بن ثابت الأنصاري، وكان يسكن الرقة، وهو من شعراء العصر العباسي الأول؛ يقول ربيعة ناصحاً وواعظاً:

ولا تسألِ النّاسَ ما يملكونَ
ولكنْ سَلِ اللّهَ وَاسْتَكْفِهِ
ولا تخضعَنَّ إلى سفلةٍ
وإنْ كانتِ الأرضُ في كَفّهِ
فإنَّ اللّئيمَ وإنْ خِلْتَهُ
كريماً يذودُكَ عن عُرْفِه
ويرجع محصولُ أخلاقِه
إلى أصلِهِ وإلى صنفِه

وكــلّ مُـقِـلٍّ وذي ثـروةٍ
فـإنَّ الـمـنـيَّـةَ مِـن خَـلْفِـه(١)

* * *

القاسم بن إبراهيم

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن أسلس الشعر الزهدي، وأسهله مأخذاً، وأغناه معنى، ما وعظ به الناس القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو محمد بن إبراهيم، الذي خرج في عهد المنصور؛ يقول القاسم:

أيُّـهـا الـطَّالبُ أَجْـمِـلْ وَاقْـتَـصِـدْ
وأَرِحْ نـفـسَـكَ مِـن جـهـدٍ وكـدّ
لا يـزيـدُ الـحـرصُ مِن رزقٍ ولا
يُـنـقصُ الإخـمـالُ مِن رزق أحـدْ
فَـاتَّـعِظ واسْـمـحْ لـمـا أنتَ لـه
وتـزوَّدْ زادَكَ الـيـومَ لِـغَـد
إنّـمـا الـدنـيـا مـتـاعٌ زائـلٌ
عـن قـلـيـلٍ وإلـى الـلَّهِ الـمـردُّ(٢)

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ١/١٧١. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م. والسفلة: الرعاع. والعرف: المعروف. تحقيق هوارت دن. ط بغداد وبيروت.

(٢) أخبار الشعراء، أو كتاب الأوراق، للصولي ص ١٩٦.

(فإنك مجزي بما أنت صانع)

ويقول القاسم بن صبيح في المعنى نفسه:

سَأَطْلُبُ بِالإجمالِ ما أنا طالبٌ
وإنّي إذا ما ضاقَ رزقٌ لَقَانِعُ
وإنّي لأَسْتَغْني فما أبطرُ الْغِنى
وما المالُ إلاّ عارضٌ وودائع
ألا أيُّها اللاّهي وقد شابَ رأسُه
أَلَمَا يَزِعْكَ الشَّيْبُ والشَّيبُ وازع
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فإنّكَ مَجْزِيٌّ بِما أنتَ صانع(١)

* * *

(وأتى المشب فأين منه المهرب)

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة، وأسلسوا لشهواتهم القياد، ثم ما لبثوا أن تابوا إلى ربهم، مخلفين شعراً في الزهد والتوبة والموعظة، صالح بن عبد القدوس، أحد موالي الأزد،

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥. وبالإجمال: بالرفق والإقتصاد. وأبطر: أكفر.

في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية؛ يقول صالح من شعر له . في غاية الجودة والفصاحة والسلاسة :

دَعْ هــذه الــدُّنْيــا عــداكَ زمــانُــه
وَازْهَــدْ فعُمــركَ مَــرَّ مِــنْــهُ الأَطْيَــبُ
ذهبَ الشّبــابُ فمــا لــهُ مِــنْ عــودةٍ
وأتى المشيبُ فــأينَ منــه المـهــربُ
وغــرورُ دنيــاكَ التي لا تسعى لـهــا
دارٌ حـقـيـقـتُـهـا متــاعٌ يـذهــب
تــبّــاً لِــدارٍ لا يــدومُ نـعـيـمُـهــا
ومـشيُّـدهــا عـمّــا قليــلٍ يـخــرب
فعليــكَ تقـوى اللّهِ فَــالْـزَمْهــا تَفُــزْ
إنَّ الـتَّـقِـيَّ هــو الـبـهـيُّ الأهــيـب
وَاعْمـلْ بـطاعتــهِ تَنَـلْ فيــه الـرِّضــا
إنَّ الـمــطيــعَ لــه لــديْـهِ مـقـرَّب
وَاقْنــعْ ففي بعضِ القنــاعــةِ راحــةٌ
واليـأسُ عمّــا فــاتَ فهـو المـطلبُ(١)

* * *

(١) شعر الزهد ص ٢٨٦ .

(فبلاؤه حسن جميل)

ومن شعر ابن عبد القدوس الزهدي، شعره الآخر ويتميز بالسهولة والرشاقة، وفيه يقول:

اللَّهُ أحمدُ شاكراً
فبلاؤُه حسنٌ جميلُ
أصبحْتُ مستوراً مُعافى
بينَ أنْعُجِهِ أجولُ
خلْواً مِنَ الإخْوانِ خفُّ
الظَّهْرِ يُقنَعُني القليل
سيّانِ عندي ذو الْغِنى
المتلافُ وَالْمُثْري البخيل
ونفيتُ باليأسِ المنى
عنّي فطابَ ليَ القليل
والنّاسُ كلُّهُمُ لِمَنْ
خفَّتْ مؤونتُه خليل[1]

* * *

(بلوت أمور الناس)

ومن بديع زهدياته وحكمه قوله:

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٧.

بلوْتُ أمــورَ النــاسِ سبعينَ حــجّــةً
ولابسْتُ صرفَ الدّهرِ في العُسْرِ واليُسْرِ
فلم أرَ بعــدَ الـدينِ خيــراً مِنَ الْغِنى
ولـم أرَ بعـدَ الكفـرِ شـرّاً مِنَ الْفقـرِ(١)

* * *

محمد الباهلي

(والشيب للجهل حرب)

ومن الشعراء الذين تابوا إلى ربهم وزهدوا في الحياة الدنيا من بعد ما قضوا حياة عامرة باللهو، محمد بن حازم الباهلي، الشاعر العباسي الذي دخل يوماً على إبراهيم بن المهدي، فناشده، وآكله، ولما حضر الشراب سأله إبراهيم أن يشرب فأبى، ثم قال من جيد الشعر الزهدي وأسلسه:

أَبَــعْــدَ خــمــســيــنَ أُصْــبــو
والــشَّــيْــبُ لِــلجــهــلِ حَــرْبُ
سِــنٌّ وشــيْــبٌ وجــهــلٌ
أمــرٌ لَــعَــمْــرُكَ صــعــبُ

---

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ٤٢٤. بيروت ١٤٠١ هـ.

آلـيْــتُ أشــربُ كــأســاً
مــا حـــجّ لِــلَّهِ ركْــبُ[1]

* * *

العلوي البصري

(قتلت الناس إشفاقاً)

ومن الأبيات الدالة على التألّه، وفيها من روح الزهد والندامة ما نسب إلى العلوي البصري من قول هو التالي :

قــتــلــتُ الــنــاسَ إشــفــاقــاً
عــلى نَــفْــسِــيَ كــيْ تــبــقــى
وحــزتُ الــمــالَ بــالــسّــيــفِ
لــكــيْ أنــعــمَ لا أشــقــى
فــمــنْ أبــصــرَ مــثــوايَ
فــلا يــظلِمْ إذاً خَــلْقــا
فــوا وَيْــلي إذا مــا مــتُّ
عــنــدَ الــلَّهِ مــا ألــقــى
أخــلداً فــي جِــوارِ الــلَّهِ
أم فــي نــارِه أُلْــقــى[2]

---

(١) الأغاني ١٢/١٦٤.

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦.

(ومضى بفصل قضائه أمس)

وقال أصبغ بن الفرج: كان بنجران عابد يصيح في كل يوم صيحتين بهذين البيتين:

قَطَعَ البقاءَ مطالِعُ الشّمسِ
وغُدُوُّها مِن حيثُ لا تُمْسي
وطلوعُها حمراءَ قانيةً
وغروبُها صفراءَ كَالْوَرْس
اليومَ يُخبرُ ما يجيءُ بهِ
ومضى بفصلِ قضائِه أمسِ[1]

* * *

(أي صفو إلّا إلى تكدير)

ومن أصفى الشعر الزهدي، وهو لا يخلو من الحكمة والمثل، والطرافة والجدّة، وهو في غاية الرقة والسلاسة، والجودة ما قاله الشاعر العباسي المجدّد، محمد بن يسير الرياشي، وكأنما هو ينعي نفسه قبل الموت. يقول:

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٢. والورس: الزعفران.

أيُّ صَفْوٍ إلّا إلى تكديرِ
ونعيمٍ إلّا إلى تغييرِ
وسرورٍ ولذّةٍ وحبورٍ
ليسَ رهناً لنا بيومٍ عسيرِ
عَجَباً لي ومِن رضائِي بِدُنْيا
أنا فيها على شَفا تغريرِ
عالمٌ لا أشكُّ أنّي إلى اللّهِ
إذا متُّ أو عذابِ السّعيرِ
ثُمَّ ألهو ولسْتُ أدري إلى
أيّهما بعدَه يصيرُ مصيري
أيُّ يومٍ عليَّ أفْظعُ مِن يومٍ
بهِ تُبرزُ النُّعاةُ سريري
كلّما مُرَّ بي على أهلِ نادٍ
كنتُ حيناً بِهِمْ كثيرَ المرور
قِيلَ مَن ذا على سريرِ المنايا
قيلَ هذا محمّدُ بنُ يسيرِ(١)

* * *

(١) الكامل في اللغة ١/٢٤٢. ورهناً: وقفاً. وشفا: حافة. والتغرير: الخداع. وسريري: كناية عن النعش. والمنايا، جمع مية، الموت وعسير: شديد. والحبور: الفرحة والبهجة.

(ويل لمن لم يرحم الله)

ويتمثل خوف ابن يسير من مواجهة الموت، بل من مواجهة ما بعد الموت، بقوله الذي يتحسر فيه على الأيام التي قضاها في غير جنب الله، فيقول نادماً متحسراً:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحمِ اللَّهُ
وَمَنْ تكونُ النارُ مَثْواهُ

يا حسرتي في كلِ يومٍ مضى
يذكرُني الموتُ وأنساه

مَنْ طال في الدنيا بهِ عمرُهُ
وعاشَ فالْموتُ قُصاراه

كأنَّهُ قد قيلَ في مجلسٍ
قد كنتُ آتيهِ وأغشاه

وسارعَ الْيُسري إلى ربِّهِ
يرحمُنا اللَّهُ وإيّاهُ[1]

* * *

سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)

(وذخره الله العلي الكبير)

من ألمع رجال الحديث والتصوف في المائة الثانية من

(١) الأغاني ١٢/١٣٧ . ومثواه: مقرّة. وقصاراه: غايته. وأغشى: آتي.

الهجرة، أبو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري الذي دعا إلى تعزيز الثقة بالله، والاعتماد عليه، وأن يفوّض له الأمر، بصدق، وبقناعة الزاهدين، وصبر التائبين. يقول سفيان ناصحاً وواعظاً:

إنْ كنتَ ترجو اللَّهَ فاقْنَعْ بهِ
فَعِندَهُ الفضلُ الكثيرُ البشيرْ
مَن ذا الذي تلزمُه فاقةٌ
وذُخْرُهُ اللَّهُ العليُّ الكبيرْ[1]

* * *

(إذا أنت لم ترحل بزاد)

كما يقول ثانية:

إذا أنْتَ لم ترحلْ بِزادٍ مِنَ التُّقى
ولاقيْتَ بعدَ الموتِ مَن قد تَزَوَّدا
نَدِمْتَ على أنْ لا تكون كَمثلِهِ
وأنَّكَ لم ترصدْ لِما كانَ أَرْصدا[2]

* * *

(١) شعر الزاهد ص ١٠٧. والفاقة: الفقر.

(٢) نفسه ص ١٠٨.

(وبعد الثمانين ما ينتظر)

ومن أرق الشعر الزهدي، وألصقه بالنفس، وأصدقه، ما عبّر به عن نفسه الفضيل بن عياض، المروزي اليربوعي، وكان محدثاً وزاهداً؛ يقول الفضيل الذي بلغ الثمانين أو كاد:

بلغْتُ الثّمانينَ أوْجُزْتُها
فماذا أُؤمّلُ أوْ أنْتَظِرْ
أتى لي ثمانونَ مِن مولِدي
وبعدَ الثمانينِ ما يُنْتَظَرْ
عَلَتْني السّنونَ فَأبْلَيْتَني
فرقّتْ عِظامي وكَلَّ البصرْ(١)

* * *

بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ/ ٧٨٤ م)

(كيف يبكي لمحبس في طلول)

ومن الشعراء الذين انصرفوا إلى اللذائذ ولهو العيش، وما

(١) شعر الزهد ص ١١١. ويقال إن الشطر الثاني من البيت الأخير، أتمه علي بن خشرم، وكان حاضراً لما قال الفضيل: (علتني السنون فأبلينني)، فخنقته العبرة، ولم يستطع إتمام الكلام.

لبثوا أن تابوا إلى ربهم، وعادوا عن غيّهم، بشار بن برد، الشاعر العباسي المجدد، وكان أعمى.

ويتميز شعره بالجدة والطرافة والعمق والابتكار. يقول بشار ذاكراً هول المحشر، ويدخل شعره في الزهد. ولا يخلو من نزعة تأملية:

كَيْفَ يَبْكي لِمَحْبِسٍ في طُلولِ
مَنْ سيقضي بِحبسِ يومٍ طويلِ
إنَّ في البعثِ والحسابِ لشغلاً
عنْ وقوفٍ بِرسمِ دارٍ محيلِ[1]

* * *

(وليس لأيام المنون خليل)

وقال في موضع آخر، ويدخل في المعنى نفسه تقريباً، وهو من جيد الشعر، وأفصحه:

بدا ليَ أنَّ الدَّهْرَ يقدحُ في الصَّفا
وأنَّ بقائي إنْ حييتُ قليلُ
فعِشْ خائفاً لِلموتِ أو غيرَ خائفٍ
على كلِّ نفسٍ لِلْحِمامِ دليلُ

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/١٦٤. دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

خليلُكَ مـا قـدْمتَ مِن عمـلِ التّقى
ولـيسَ لِأيّـامِ الـمـنـونِ خـليـل[1]

* * *

(ويوم الحزن منه طويل)

ويقول أيضاً، وهو من جيد شعره في الزهد:

لَـعَـلَّكَ تـرجـو أنْ تـعـيشَ مـخـلّداً
أبـى ذاكَ شُـبّـانٌ لـنـا وكُـهـولُ
ولِـلدّهـرِ أيّـامٌ قِـصـارٌ إذا سـرَتْ
بخيرٍ ويـومُ الحـزْنِ منـهُ طـويـل[2]

* * *

(وسعى ساع وأخطأ في الرّجا)

ومنه أيضاً قوله الآخر الرائع:

مـا أراكَ الـدّهـرَ إلاّ شـاخـصـاً
دائـبَ الـرّحـلةِ فـي غـيـرِ عَـنَـا
فـدعِ الـدُّنيـا وعِشْ في ظِـلِّهـا
طـلب الـدنـيـا مـنَ الـدّاءِ الْـقِـيـا

---

(١) زهر الآداب، للحصري ٤٢٤/٢. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
(٢) البيان والتبيين ٤٧٤/٣.

رُبَّمـا جـاءَ مـقـيـمـاً رزقُـهُ
وسعى سـاعٍ وَأَخْـطَى في الـرَّجا[1]

* * *

الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م)

(فما لك نفسي بعدها تستعيرها)

ومن الشعر الغني بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة، ما قاله الشاعر الأموي العباسي، الحسين بن مطير مولى بني أسد بن خزيمة، يقول ابن مطير، وهو من جيد الشعر وأفصحه:

وما الجودُ مِن فقرِ الرِّجالِ ولا الغِنى
ولكنّ ذا خِيمٌ الـرِّجـالِ وخِيـرُها
فكمْ طـامـعٍ في حـاجةٍ لنْ ينـالَها
وكم يـائسٍ منـهـا أتـاهُ بشيـرُها
ونفسَكَ أكـرِمْ عـن أمـورٍ كثيـرةٍ
فمـا لَكَ نفسٌ بعـدَها تستعيـرُها
فمنْ يَتَّبِعْ مـا يُعجبُ النفسَ لم يـزلْ
مُطيعاً لهـا في فعلِ شيءٍ يضيرُها

---

(١) ديوان بشار ١٥٣/٤ . لجنة التأليف والترجمة . تونس ١٩٥٧ م.

ولا تقربِ الأمْرَ الحرامَ فإنّه
حلاوتُه تفنى ويبقى مريرَها
ولا تُلْهِكَ الدنيا عن الحقِّ واعْتمدْ
لِآخرةٍ لا بدَّ أنْ ستصيرُها[1]

* * *

(ولعلّ صهرك صاحب البيت)

ومن جيد ما قال أحدهم في وصف الدنيا، وفي الموت الذي لا بد منه، قوله:

زيّنْتَ بيتَك جاهلاً وعمرْتَهُ
ولعلَّ صهرَكَ صاحبُ البيتِ
من كانت الأيّامُ سائرةً بهِ
فكأنّه قد حَلَّ بالموْتِ
والمرءُ مرتهَنٌ بِسوفَ وليتني
وهلاكُهُ في السّوفِ واللّيْت
لِلّهِ إنَّ فتىً تدبَّرَ أمرَه
فَغَدا وَرَاحَ مبادرَ الموتِ[2]

(١) شعر الزهد ص ٦٢٧. والخيم: الطبع والأصل. والخير: الشرف والأصل. ومريرها: مرارتها.

(٢) العقد الفريد ١/٣٢٢.

(كن كيف شئت)

للخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وأحد أبرز المفلقين من العلماء في عصره، أشعار تنم عن نفس شفافة، زاهدة، وهي خلاصة لتجاربه في الحياة، ومن هذا القبيل، قوله:

كُنْ كيفَ شِئْتَ فَقَصْرُكَ الْموتُ
لا مُزْحَلٌ عنهُ ولا فَوْتُ
بينا غِنىً بيتٍ وبهجتُهُ
زالَ الغنَى وتقوَّضَ البيتُ[1]

* * *

(وما هي إلّا ليلة ثم يومها)

ومنه أيضاً قوله:

وما هي إلّا ليلةٌ ثمّ يومُها
وحَوْلٌ إلى حولٍ وشهرٌ إلى شهرِ
مطايا يُقَرِّبْنَ الجديدَ إلى البِلى
ويُدْنِينَ أشلاءَ الكرامِ إلى القبرِ

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٣٠٤. والمزحل: الزوال، والتباعد. وتقوّض: تهدم.

ويتـركْـنَ أزواجَ الـغيـورِ لِـغيـره
ويقسمْنَ ما يحوي الشّحيحُ مِنَ الْوَفْرِ[1]

* * *

(فإن الذي هو آتٍ قريب)

ومنه، أيضاً، قوله:

وقبـلَكَ داوى الـطبيـبُ المـريضَ
فعـاشَ المـريضُ ومـاتَ الـطّبيـبُ
فكُـنْ مـستـعـدّاً لِـدارِ الـفنـاءِ
فـإنَّ الـذي هـو آتٍ قـريـبُ[2]

* * *

(وإذا افتقرت إلى الذخائر)

وثمة بيت ينسب إلى الخليل، وهو في الغاية من البلاغة والحكمة والتوجيه للتزود بالعمل الصالح، وهو التالي:

وإذا افْتَقَـرْتَ إلى الـذَّخـائِـرِ لم تَجِـدْ
ذُخْـراً يكـونُ كصـالـحِ الأعمـالِ[3]

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٠٩ ـ ٢١٠. والأشلاء: القطع. والشحيح: البخيل.
(٢) المصدر نفسه ٥/٢١٠.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٤١.

(إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

للعتابي، واسمه كلثوم بن عمرو، من شعراء الدولة العباسية، زمن الرشيد والمأمون، شعر يتميز بالطبعية والعفوية، وحسن التصرف بالكلام، وإن منه ذلك الذي يتسم بالحكمة والزهد، لجهة الحث على التخلي عن الطمع، والاكتفاء بالقليل. يقول العتابي:

حَتّى متى أنا في حِلٍّ وتَرْحالِ
وطولِ شُغْلٍ بإدْبارٍ وإقبالِ
بِمشْرِقِ الأرضِ طوراً ثم مغربِها
لا يخطرُ الموتُ مِن حرْصٍ على بالي
ونازحِ الدّارِ ما أنفكُّ مغترباً
عنِ الأحبّةِ ما يَدْرون ما حالي
ولو قنعْتُ أتاني الرّزقُ في دَعَةٍ
إنَّ القنوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ[1]

* * *

(ذريني تجئني منيتي مطمئنة)

ولقد عاتبته امرأته مرة على ترك السعي إلى العمل،

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٩. ونازح الدار: البعيد عنها.

والاكتفاء بالقليل، خلافاً لما فعله منصور النمري الذي اقتنى الضياع، وبنى الدور، وجمع النساء. يقول العتابي متحدثاً عن زوجته:

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهليّةٌ
طوى الدّهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
ذَريني تجئني مُنْيَتي مطمئنّةً
ولم أتقحّمْ هولَ تلكَ المواردِ
فإنَّ كريماتِ المعالي مشوبةٌ
بِمُستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ(١)

* * *

(وليأتين عليك)

ومن لطيف شعر العتابي الزهدي، قوله:

الْمرءُ يجمعُ ما لَه مُسْتهتراً
فرحاً وليسَ بآكلٍ ما يجمعُ
وَلَيأْتِيَنَّ عليكَ يومٌ مرّةً
يُنكى عليكَ مقنّعاً لا تسمعُ(٢)

(١) عيون الأخبار ٢٣٢/١. والباهلية: المنسوبة إلى باهلة، القبيلة العربية المعروفة. والطرف: الحديث من المال. والتالد: القديم، والأساود: الحيات جمع أسود.

(٢) العقد الفريد ٢٩٧/٣. والمستهتر بالشيء: المولع به. وينكى: ينقلب عليك.

(ما ليس يبقى فلا والله ما اتّزنا)

ومن الزهاد الذي يشار إليهم بالبنان، وحفظ التاريخ لهم أسمى معاني القدر والاحترام، عبد الله بن المبارك، أحد أشهر الفقهاء والعلماء في عصره، عنيت العصر العباسي الأول، وأحد ألمع زهاد عصره، إطلاقاً، وإن من شعره الزهدي، ذاك الذي كان يخاطب نفسه به في كل مرة يخرج فيها إلى الحج. يقول ابن المبارك:

بُغْضُ الحياةِ وخوْفُ اللَّهِ أَخْرجني
وبيعُ نفسي بما ليستْ له ثمنا
إنّي وزنْتُ الذي يبقى لِيعدِلَه
ما ليسَ يبقى فلا واللَّهِ ما اتَّزَنا(١)

* * *

(فاستغن بالدّين عن دنيا الملوك)

وإن من شعره الزهدي الآخر، وفيه يتعجب ابن المبارك من الذين يسعون لدنياهم، فقصروا في ذات الله، وطمعوا بما عند الناس من ملوك وغير ملوك. يقول في هذا المعنى:

---

(١) شعر الزهد ص ٩١.

أرى أُناساً بِأَدْنى الدِّينِ قد قَنِعوا
ولا أراهمْ رَضُوا بِالعيشِ بالدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بالدِّينِ عن دُنْيا الملوكِ كما
اسْتَغْنى الملوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ(١)

* * *

(يحصده الموت كلما طلعا)

وثمة أبيات قالها ابن المبارك يدعو فيها طالب العلم والناس جميعاً، إلى مبادرة الزهد والورع، وهجر النوم والشبع. يقول:

يا طالبَ العلمِ بادرِ الْوَرَعا
وهاجرِ النَّوْمَ وَاهْجُرِ الشَّبَعا
يا أيُّها النَّاسُ أنتُم عُشُب
يحصدُهُ الموتُ كُلَّما طلعا(٣)

* * *

(فلم يبق للأيام كهل ولا فتى)

ومن رائع شعر الزهد الذي جادت به قريحة ابن المبارك، قوله:

ألا قِفْ بِدارِ المترفين وقُلْ لهمْ
ألا أينَ أربابُ المدائنِ والْقُرى

(١) المرجع نفسه ص ٩٢.
(٣) شعر الزهد ص ١١٠.

وأيـنَ المـلوكُ النّـاعـمـون بـغـبـطةٍ
ومَنْ عـانقَ الْبِيضَ الرَّعـابيبَ كَالـدُّمى
فـلو نـطقَتْ دارٌ لَـقـالَـتْ ديـارُهُـمْ
لـكَ الخيـرُ صـاروا لِلتُّراب ولِلْبِلى
وأفـنـاهـمُ كَـرُّ الـنّـهـارِ ولـيـله
فلم يبقَ لِـلأيّـامِ كهـلٌ ولا فتى[1]

* * *

(فطوبى لعبد شغله بك دائماً)

ومن الشعر الزهـدي المنسوب إلى عبـد الله بن المبارك، ويغلب عليه طابع التصوف، قوله:

وكـلُّ اجْتهـادٍ فـي سـواكَ مضـيَّـعُ
وكـلُّ كـلامٍ لا بِـذكـرِكَ آفـاتُ
وكـلُّ اشْتغـالٍ لا بِحُبِّـكَ بـاطـلٌ
وكـلُّ سـمـاعٍ لا لِقـولِـكَ زلّات
وكـلُّ اجتمـاعٍ لا إليـكِ ضـلالـةٌ
وجـدٌّ وسـعـيٌ لا إلـيـكَ بـطالات
وكـلُّ وقـوفٍ لا لِبـابِـكَ خيبـةٌ
وكـلُّ عكـوف لا إليـكَ جنـايـات

(١) مجلة معهـد المخطوطـات العـربيـة، ص٣١٣. ج ١. مجلد ٢٨. ١٩٨٤م. والرعابيب، جمع رعبوبة، وهي الشابة الناعمة.

وكــلّ رجــاءٍ دونَ فــضــلكَ آيسٌ
وكــلُّ حــديثٍ عن ســواكَ خــطيئــات
وأنتَ حــراءُ الحبّ والغيــرُ بــاطــلُ
فــطُوبى لِعبــدٍ نــالــه منــكَ أوقــات
فيــا ويــلَ قلبٍ لم تكنْ فيــه ســاكنــاً
ويــا فــوزَ قلبٍ فيــه منــكَ مــودّات
فــطوبــى لعبــدٍ شغــلُه بــكَ دائمــاً
كحــالِ مُحِــبٍّ أدركتْــهُ الــعنــايــات
وسحقــاً لِمـطرودٍ عنِ البــابِ مبعـداً
ولــيس لــه إلاّ التّشــاغــلُ هــمّــات
على نفسِــه فَلْيَبْــكِ مَنْ فــاتــه الهــدى
ولــيس لــه عــزمٌ إليــكَ ونــيّــات[1]

* * *

(إن السفينة لا تجري على اليبس)

وثمة بيتان من الشعر الزهدي، يتّسمان بالرقة، وينسبان إلى ابن المبارك، وهما التاليان:

مــا بــال دينــكَ تــرض أنْ تُــدَنِّسَــهُ
وثــوبكَ الــدّهــرَ مغســولٌ مِنَ الــدَّنَسِ

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٠ - ٣٢١.

تـرجـو النّجــاةَ ولم تسلكْ طـريقتَهــا
إنَّ السّفينـةَ لا تجـري على اليبسِ(١)

* * *

ريحانة

(من كان راكب يوم)

ومن شواعر الحكمة والزهد، والتصـوف، تلك المعروفـة بـاسم ريحانـة، وكـان لقيهـا إبـراهيم بن الأدهم، الصـوفي المعروف، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول:

مَنْ كــانَ راكبَ يـومٍ لـيسَ يَـأْمنُـهُ
ولـيـلة تـائـهــاً فـي عـقْـبِ دنـيــاهُ
فكيفَ يلتــذُّ عـيشــاً لا يَــطيـبُ لـه
وكيفَ تعـرفُ طعمَ الغمْضِ عينـاه(٢)

* * *

ميمونة

(دنيا غرارات)

ومنهن أيضاً، تلك المسماة ميمـونة السـوداء، التي لقيها

---

(١) المرجع نفسه ص ٣١٨.
(٢) شعر الزهد ص ١٨٧.

عبد الله بن المبارك، فطلب أن تعظه، فقالت:

دُنْيا غرارات فذرْها
فإنّها مركبٌ جموحُ
دونَ بلوغِ الجهولِ منها
منيةُ نفسِه تطوحُ
لا تركبِ الشَّرَّ فَاجْتَنِبْهُ
فإنّه فاحشٌ قبيحُ
والخيرُ فاقدمْ عليهِ جهراً
فإنّه واسعٌ فسيحُ[1]

* * *

(كذاك من مسكنه القبر)

ومن رائع شعرها الزهدي قولها:

وليسَ لِلْميِّتِ في قَبْرِهِ
فِطْرٌ ولا أَضْحى ولا عشرُ
باتَ مِنَ الأَهْلِ على قُرْبِه
كذاكَ مَنْ مسكنُه القبرُ[2]

* * *

(١) نفسه ١٩١.

(٢) نفسه ١٩٣.

(يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ومن جيد ما قال الغزال في الشعر الزهدي:

أصبحتُ وَاللَّهِ مجهوداً على مَلَلٍ
مِنَ الحياةِ فصبري غيرُ مُمْتَدِّ
وما أفارقُ يوماً مَنْ أفارقُه
إلّا حسبْتُ فراقي آخر العهد
أُنْظرْ إليَّ إذا أُدرجْتُ في كفني
وانظرْ إليَّ إذا أدرجْتُ في لحدي
وَاقْعُدْ قليلاً وعاينْ مَن يُقيمُ معي
مِمَّنْ يُشَيِّعُ نعشي مِن ذوي وُدّي
هيهاتِ كلُّهمُ في شأنِه لعبٌ
يرمي التّرابَ ويحثوه على خدّي(1)

* * *

البهلول (ت ١٩٠ هـ)

(وفي العيش فلا تطمع)

ثمة اسم من أسماء المجانين، لمع في عهد الرشيد،

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

الخليفة العباسي، وما كان مجنوناً، لكنه تظاهر بذلك تقيةً، وإن كان به جنون حقاً، فهو جنون الحبِّ الإلهي، وشدة مخافته الله سبحانه وتعالى، فلا عجب أن نجد كلام هذا المجنون، بهلول بن عمرو، وكنيته أبو وهيب الصيرفي الكوفي. . أقول لا عجب أن نجد في كلام أبي وهيب، وفي شعره خاصة، الكثير من المعاني الحكمية والزهدية القائمة على الوعظ والإرشاد، والاكتفاء بالقليل من المتاع، وإن من هذا الشعر، على سبيل المثال، قوله:

دَعِ الْحِرْصَ على الدُّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تَجمعْ مِنَ الْمالِ
فلا تَدْري لِمَنْ تجمعْ
فإنَّ الرّزقَ مقسومٌ
وسوء الظّنِّ لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذي حرصٍ
غنيٌّ كلُّ مَنْ يقنعْ(١)

* * *

(١) شعر الزهد ١٧٨ ـ ١٧٩. وينسب هذا الشعر لأبي نواس أيضاً. أنظر المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(ويحثو التّرب هذا ثم هذا)

ومن جيد قوله الزهدي، وبليغ معناه، ما قاله مخاطباً الرشيد:

وَهَبْ أنْ قدْ ملكْتَ الأرضَ طُرّاً
ودانَ لكَ البلادُ فكانَ ماذا
أليسَ غداً مصيرُكَ جوفَ تُرْبٍ
ويحثو التّرْبَ هذا ثمّ هذا[1]

* * *

(تقول لله ماذا حين تلقاه)

ومن أشعاره الزهدية قوله:

يا مَنْ تمتَّعَ بالدّنيا وزينتها
ولا تنامُ عنِ اللّذّاتِ عَيْناهُ
شغلْتَ نفسَكَ في ما لسْتَ تذكرُه
تقولُ لِلّهِ ماذا حينَ تلقاهُ[2]

* * *

(١) نفسه ص ١٧٩. ودان: خضع وذلّ. ويحثو: يلقي ويهيل.

(٢) نفسه ص ١٧٩.

لَـيسَ لِـلمـخـلوقِ تـدبـيـرُ
بـلِ الـلّهُ الـمُـدَبِّـر[1]

* * *

(يا سوأتي فما اكتسبت)

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي، ما قاله وقد تصور نفسه مسجى على فراش الموت، تقلّبه الأيدي، ثم هو يغسل ويحنّط ويكفّن، ثم يحمل على سرير الموت، ثم يبعث يوم القيامة، وقد فرّط في حق الله أيّما تفريط. يقول النواسي نادماً ومناجياً نفسه، وهو من رائع الشعر السهل الممتنع:

يـا لَـيْتَ شِـعْـري كيـفَ أنتَ عـلى
ظَـهْـرِ الـسّـريـرِ وأنـتَ لا تَـدْري
يـا لـيتَ شعـري كـيفَ أنـتَ إذا
غُـسِّـلْتَ بـالـكـافـورِ والـسِّـدْر
يـا لِيـتَ شِـعـري كـيفَ أنـتَ إذا
وُضِـعَ الحسـابُ صبيحـةَ الْـحَشْـر
مـا حُـجّتـي فـي مـا أتـيـتُ ومـا
قـوْلـي لِـرَبّـي بـلْ ومـا عُـذْري

---

(١) ديوان أبي نواس. ص ٦٢٠. تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب العربي بيروت.

(يا نواسيّ تفَكّر)

من أعجب العجب في شعر أبي نواس، الشاعر اللاهي والماجن، والفاتك، وزعيم الخمرة في الشعر العربي، أن نجد فيه نمطاً آخر يحاكي به كبار شعراء الزهد والموعظة والتوبة النصوح إلى الله. ونحن أمام هذه النماذج الرقيقة البالغة الروعة من زهديات أبي نواس، لا يسعنا إلّا أن نصدق توبته، فنذوب إعجاباً بهذا الشعر الزهدي البالغ الجودة، ومنه قوله مناجياً:

يا نواسيُّ تَفَكَّرْ
وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ
ساءَكَ الدّهرُ بِشيءٍ
ولِما سَرَّكَ أكثرْ
يا كبيرَ الذّنبِ عفوُ اللّهِ
مِنْ ذنبِكَ أكبر
أكبرُ الأشياءِ عَنْ
أصغرِ عفوِ اللّهِ أكبر
ليسَ لِلإنسانِ إلّا
مَا قَضى اللّهُ وَقَدَّر

يـا سَـوْأتـي ممّـا اكْـتسبْتُ ويـا
أسَفي على مـا فـاتَ مِن عمـري[1]

* * *

(كأنك لا تظنّ الموت حقاً)

ومن رائع زهديات أبي نواس، قوله المتضمن بديع الحكمة، ولطيف المعنى، ورفيع الأدب التوجيهي، والإرشاد الديني، وكأنما هو ليس أبا نواس الذي نعرف، زندقة ومجوناً وتهتكاً. يقول أبو نواس:

أخـي مـا بـالُ قلبِـكَ لـيسَ يَنْـقـى
كـأنَّـكَ لا تَـظُنُّ الـمـوتَ حَـقّـا
ألا يَـا ابْـنَ الـذيـنَ فَـنَـوْا وبـادُوا
أمـا والـلَّهِ مـا بـادوا لِـتَـبْـقـى
ومـا لَـكَ فَـاعْـلمنْ فيهـا مقـامٌ
إذا اسْـتـكـمـلْـتَ آجـالاً ورزقـا
ومـا لـكَ غـيـر مـا قـدّمْـتَ زادٌ
إذا جُـعِـلَتْ إلـى الـلَّهَـواتِ تَـرْقـى

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠. والسرير: النعش. والسدر: الحنوط يحنط به الميت. والحشر: يوم البعث.

وما أحدٌ بِزادِكَ منكَ أحظى
وما أحدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أشْقى[1]

* * *

(يا سائل الله فزت بالظَّفر)

وإن من هذا الشعر الزهدي الوجداني الرائع قوله، وهو يفيض حكمة وموعظة وإيماناً:

يا سائلَ اللَّهِ فُزْتَ بِالظَّفَرِ
وبِالنَّوالِ الْهَنِيِّ لا الْكَدِرِ
فَارْغَبْ إلى اللَّهِ لا إلى بشَرٍ
منتقلٍ في الْبِلى وفي الغِيَرَ
وَارْغبْ إلى اللَّهِ لا إلى جسدٍ
منتقلٍ مِنْ صِباً إلى كِبَرِ
إنَّ الذي لا يُخيبُ سائلَهُ
جَوْهرُهُ غيرُ جوْهرِ البشرِ
مالكَ بالتُّرَّهاتِ مشتغلاً
أفي يَدَيْكَ الأمانُ مِنَ سَقَرِ[2]

---

(١) شعر الزهد ص ٢٩٥. وبادوا: فنوا. واللهوات، جمع لهاة ، وهي في أعلى الحلق. وهنا إشارة إلى نزاع الروح ساعة الموت.

(٢) نفسه ص ٢٩٨. وسقر: النار. والترهات: سفاسف الأمور التافهة. والغير: الأحداث والخطوب. والظفر: الفوز.

(وأراني أموت عضواً فعضوا)

ومن زهديات أبي نواس، وفيها ذكر لأهوال الموت والاحتضار، متأسفاً على ما فات من عمره في معصية الله تعالى، قوله:

شَاعَ فِيَّ الفناءُ عُلْواً وسُفْلاً
وأراني أموتُ عضواً فعضوا
ذهبتْ جِدّتي بِطاعةِ نفسي
وتذكّرتُ طاعةَ اللَّهِ نِضْوا[1]

* * *

(وفي العيش فلا تطمع)

ومن رائع زهد أبي نواس قوله:

دَع الْحرصَ على الدّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ
فما تدري لِمَنْ تجمعْ
ولا تدري أفي أرضِكَ
أم في غيرِها تَصْرَعْ[2]

---

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧. والنضو: المهزول والمجهد.

(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٠٢. دار صعب. بيروت ١٩٦٩ م.

(للّه درُّ الشيب من واعظ)

ومن شعر أبي نواس الحكمي الزهدي قوله، وهو من بليغ القول وأعمقه:

أَيَّــةَ نــارٍ قَــدَحَ الْـقَـادِحُ
وأيَّ جِـدِّ بـلغَ الْـمـازحُ
لِــلَّهِ درُّ الــشَّـيـبِ مِــن واعِظٍ
ونــاصـحٍ لـو حـظيَ الـنَّـاصـح
يـأبـى الْـفـتـى إلاَّ اتـبّـاعَ الـهـوى
ومـنـهـجُ الـحـقِّ لـهُ واضـح
فَــاسْمُ بِـعَـيْـنَـيْـكَ إلى نـسـوةٍ
مـهـو رُهُـنَّ الْـعَـمـلُ الـصّـالـح
لا يـجتـلي الـعـذراءَ مِن خِـدرِهـا
إلّا امْــرؤٌ مــيـزانُـه راجـح
مَــنِ اتّــقـى الـلَّهَ فـذاكَ الـذي
سِـيقَ إليـه الـمـتـجـرُ الـرّابـح[1]

* * *

(وبتقواه تمسّك)

ومن شعره الزهدي السهل الممتنع قوله:

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٥.

كُـنْ مَـعَ الـلَّهِ يَـكُـنْ لَـكْ
وَاتَّـقِ الـلَّهَ لَـعَـلَّكْ
لا تـكُـنْ إلاّ مـعـدّاً
لِـلْمـنـايـا فـكـأنّـكْ
إنَّ لِـلمـوتِ لَـسَـهـمـاً
واقـعـاً دونَـكَ أوْبِـكْ
نـحـن نـجـري في أفـانـيـنِ
سُـكـونٍ وتَـحـرُّك
فَـعَـلى الـلَّهِ تـوكَّـلْ
وبِـتَـقْـواهُ تَـمَـسَّـك[1]

* * *

(لبّيك قد لبيت لك)

وما أرقّ هذه التلبية الشعرية الرقيقـة التي لا تقال إلاّ في موسم الحج، ولا تصدر إلا عن نفس شفّها الحزن والندم على المعصية؛ يقول أبو نواس، من شعر ينضح بالتوبة والغفران:

إلـهَـنـا مـا أَعْـدَلَـكْ
مـليـكَ كُـلِّ مَـنْ مَـلَكْ

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٨٥.

لَبَّيْكَ قد لَبَّيْتُ لَكْ
لبّيكَ إنَّ الحمدَ لَكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ
ما خابَ عبدٌ أَمَّلَكْ
أنتَ له حيثُ سَلَكْ
لولاكَ يا ربِّ هلكْ
لبّيك إنّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لك
كلُّ نبيٍّ ومَلَكْ
وكلُّ مَنْ أهلَّ لك
وكلُّ عبدٍ سألك
سبَّحَ أو لبّى مَلَكْ
لبيكَ إنّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك
يا خاطئاً ما أغفلَكْ
إعْمَلْ وبادرْ أَجَلَكْ
وَاخْتُمْ بخيرٍ عَمَلَكْ
لبّيك إنَّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك

* * *

(سبحان علاّم الغيوب)

ومن أروع ما قاله أبو نواس في التوبة والزهد والانقطاع إلى الله والندامة على الذنب، قوله مناجياً النفس:

سبحانَ علاّمِ الغُيوبِ
عجباً لِتَصْريفِ الخطوبِ
تغدو على قطفِ النّفوسِ
وتجتني ثمرَ القلوبِ
يا نفسُ توبي قبلَ أنْ
لا تستطيعي أنْ تتوبي
وَاسْتغفري لِذنوبِكِ
الرّحمٰنَ غفّارَ الذُّنوب
إنَّ الحوادثَ كالرّياحِ
عليكِ دائمةُ الهبوب
والموتُ شرعٌ واحدٌ
والخَلْقُ مختلفو الضُّروب
والسَّعْيُ في طلبِ التُّقى
مِن خيرِ مكسبةِ الكَسوب
ولقلّما ينجو الفتى
بتقاهُ مِن لطخِ العيوبِ(١)

(١) الديوان ص ١٠٠ .

(واشكر لمولاك على نعمته)

ومن الأدب الوعظي، ذي النفحة الإيمانية الزهدية، ما ينسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع). يقول علي مزهداً بالدنيا، محذراً من زخرفها، حاثاً على التمسك بالخير والصبر، والتعلق بأهداب الفضيلة والتقوى:

لا تحرصَنْ فالحرصُ يُزْري بالفتى
ويُذْهِبُ الرَّوْنقَ عن بهجتِه
والحظ لا تجلُبُهُ حِيلةٌ
كيفَ يخافُ المرءُ مِن فَقْرتِه
ما فاتكَ اليومَ سيأتي غداً
ما في الذي قُدِّرَ مِن حيلتِه
والرِّزقُ مضمونٌ على واحدٍ
مفاتحُ الأشياءِ في قَبْضتِه
قد يُرزقُ العاجزُ مَعْ عجزِهِ
ويُحرمُ الكَيِّسُ معْ فِطْنتِه
لا تنهرِ المسكينَ يوماً أتى
فقد نهاكَ اللّهُ عن نهرتِه

إنْ عضَّــكَ الــدّهــرُ فكنْ صــابــراً
عــلى الــذي فــاتــكَ من عضــتــه
أوْ مــسَّــكَ الـضّــرُّ فــلا تـشـتــكـي
إلاّ لِــمَــنْ تــطـمــعُ فــي رحـمــتِــه
وَاقْــنــعْ بـمــا أعــطاكَ مِـن فـضــلِهِ
واشْـكــرْ لِمــولاكَ عــلى نعــمتِــه[1]

* * *

صوت

(وإنّ امرءاً)

ومما حدث به الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: بينا أنا أدور في بعض البراري، إذا أنا بصوت يقول: . . . ولما سأل عن الصوت أصوت إنسي أم جنّي؟ لم يجبه، فنقش الشعر على خاتمه. والصوت الذي سمعه هو التالي:

وَإنَّ امْــرَأً دُنْــيــاهُ أكــثــرُ هــمِّــهِ
لَمُسْتَمْسِــكٌ مِنْهَــا بِحَبْــلِ غُــرورِ[2]

---

(١) جواهر الأدب. ص ٤٣٢. والمولى: السيد. ومسّك: أصابك. وعضك الدهر: أزرى بك وأساءك. وتنهر: تزجر. والكيّس: العاقل الذكي. والفقرة، واحدة الفقر، مصدر النوع. أو المرة. والرونق: ماء الشباب ونضارته.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(لا فخر إلاّ فخر أهل التّقى)

من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بأبي العتاهية، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد، وذكر الموت، والبعث والوعد والوعيد. ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجباً، ومنبهاً، ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلالة، وأقربه تناولاً:

يا عجباً لِلنّاس لو فكّروا
وحاسبوا أَنْفُسَهُمْ أبصروا
وعبروا الدُّنْيا إلى غيرِها
فإنّها الدُّنْيا لهمْ مَعْبَر
الخيرُ مِمّا ليسَ يَخْفى هو
المعروفُ والشَّرُّ هو المُنْكَر
والموعدُ الموتُ وما بعدَهُ
الْحشرُ فذاكَ الموعِدُ الأكبر
لا فخرَ إلاّ فخرُ أهلِ التُّقى
غداً إذا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَر

لَيَعْلَمَنَّ النّاسُ أنَّ التُّقى
والبِرَّ كانا خيرَ ما يُذْخر
عجبتُ لِلإنسانِ في فخرِه
وهْو غداً في قبرِه يُقْبَر
ما بالُ مَن أوَّلُه نُطْفَةٌ
وجيفةٌ آخرهُ يَفْخَر
أصبحَ لا يملِكُ تقديمَ ما
يرجو ولا تأخيرَ ما يحذر
وأصبحَ الأمرُ إلى غيرِهِ
في كلِّ ما يقضى وما يُقْدَر(١)

* * *

(يدعوك ربك عنده فتجيب)

ويعجب أبو العتاهية للذين يشغلون بإحصاء العيوب على الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة هو آتٍ. يقول أبو العتاهية:

يا مَنْ يَعيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ
كَمْ فيكَ مِنْ عيبٍ وأنتَ تَعيبُ

---

(١) الكامل في اللغة ١/٢٣٩. ويؤخر: يحفظ ذخراً. وانظر: الديوان ١٥١ ـ ١٥٢.

لِــلَّهِ دِرُّكَ كــيــفَ أنــتَ وغــايــةٌ
يَــدْعــوكَ ربُّــكَ عنــدَهُ فتُجيبُ[1]

* * *

(كلنا يكثر الملامة)

ومن بديع قوله في وصف الدنيا:

كُـلُّنــا يُكْـثِـرُ المــلامــةَ لِلدُّنيــا
وكــلٌّ يــحِــبِّــهــا مــفــتــونُ
والمقــاديـرُ لا تنــاولُهــا الأوهــامُ
لُــطْفــاً ولا تــراهــا الــعــيــونُ
ويــمــرُّ الفتـى وفـي كــلِّ يــومٍ
حــركــاتٌ كــأنّـهــنَّ سـكــونُ[2]

* * *

(والفقر عين الفقر في الأموال)

ومن جيد الشعر الزهدي، وأرقه، لأبي العتاهية، قوله مخاطباً الدنيا، داعياً إلى الأخذ بالبساطة، والرضا بالقناعة والكفاف:

---

(١) نفسه ١/٢٣٨.

(٢) العقد الفريد ١/٣١٢.

مـا أنـتِ يـا دُنيـا بِـدارِ إقـامـةٍ
مـا زلْـتِ يـا دنيـا كَـفَـيْءِ ظِـلالِ
غـرسَ التَخَلُّصُ منكِ بينَ جـوانحي
شجـرَ القنـاعـةِ والقنـاعـةُ مـالي
لمّـا حصلْتُ على القنـاعـةِ لم أزلْ
مـلِكـاً يـرى الإكـثـارَ كـالإقـلال
لمّـا حصلْتُ على القنـاعـةِ لم أزلْ
والـفقـرُ عين الـفقـر في الأمـوال
مـا اعْتاضَ باذلُ وجهـهِ ولسـانِـه
عِـوَضـاً ولـو نـالَ الغِنى بِسؤال[1]

* * *

(حتى متى يستفزني الطمع)

وقريب من المعنى السابق قوله أيضاً:

حَتّى مَتى يَسْتفِزُّني الـطَّمَـعُ
ألـيْسَ لي بـالـكـفـافِ مُـتَّسَـعُ
مـا أفضـلَ الـصَّبْـرَ والـقنـاعـةَ
للنّـاسِ جميعـاً لـو أنَّهم قـنِعـوا

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣١١. دار صادر - دار بيروت، ١٩٦٥ م.

وأخدعَ اللَّيلِ والنَّهارِ لأقوامٍ
أراهم في الغيِّ قد رقعوا
لِلَّهِ درُّ الدُّنيا فقدْ لعبتْ
قبلي بقومٍ فما ترى صنعوا
وكان ما قدَّموا لأنفسِهِمْ
أعظمَ نفعاً مِنَ الّذي ودعوا[1]

* * *

(وعلى نفسه بغى كل باغ)

وقريب منه كذلك، قوله:

أيُّ عَيْشٍ يكونُ أبلغَ مِنْ عيشٍ
كفافٍ قوتٍ بقدرْ الْبَلاغِ
صاحبُ البَغْي ليسَ يسلمُ مِنْهُ
وعلى نفسِهِ بَغى كلُّ باغِ
رُبَّ ذي نعمةٍ تعرَّضَ منها
حائلٌ بينَنَه وبينَ المساغِ
أبلغَ الدّهرُ في مواعظِهِ بل
زاد فيهنَّ لي على الإبلاغ

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

غيّبتْني الأيّامُ عقلي ومالي
وشبابي وصِحّتي وفراغي[1]

* * *

(وابتغينا من المعاش فضولاً)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله داعياً إلى القناعة والرضى بالقليل:

وَابْتَغَيْنَا مِنَ الْمَعَاشِ فُضولاً
لَوْ قَنِعْنا بِدونِها لاَكْتَفَيْنَا
ولَعَمْري لنَمْضِيَنَّ وَلاَ نَمْضِي بشيءٍ
مِنْهَا إذا ما مَضَيْنا
عَجَباً لِإمْرِيءٍ تيقّنَ أنَّ الموتَ
حقٌّ فَقَرَّ بالْعيشِ عَيْنَا[2]

* * *

(قد أورثت حزناً طويلاً)

ودعوة أبي العتاهية إلى القناعة، والاكتفاء من الدنيا بالقليل، تستدعي منه ذمّ الحرص والجشع والطمع والبخل، والإقبال على الدنيا، والاستسلام للشهوات، وغير ذلك من

(١) الأغاني ٣/١٤٥.

(٢) الديوان ص ٢٣١.

الصفات المذمومة التي تطيع محبّ الدنيا بطابعها المميز، ومن هذا الشعر المتضمن لما ذهبنا إليه، قوله:

الـحـرصُ داءٌ قـد أضـرَّ
بِـمَـنْ تَـرى إلاّ قـلـيـلاً
كـم مِـنْ عـزيـزٍ قـد رأيْـتَ
الـحـرصَ صـيَّـرَهُ ذلـيـلا
فَـتَـجـنَّـبِ الـشّـهـواتِ وَاحْـذرْ
أنْ تـكـونَ لـهـا فـتـيـلا
فَـلَرُبَّ شـهـوةٍ سـاعـةٍ
قـدْ أورثَـتْ حُـزْنـاً طـويـلا(١)

* * *

(خليليّ ما أكفى اليسير)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله:

طلبْتُ الغِنى في كـلِّ وَجْهٍ فلم أجِـدْ
سبيـلَ الـغِنـى إلاّ سبيـلَ التـعفُّـفِ
خليليَّ مـا أكفى اليسيـرُ مِنَ الّـذي
نحـاولُ إنْ كُنّـا بمـا كَفى نَكْتَفي(٢)

---

(١) نفسه ص ١٨٩.

(٢) الديوان ص ٢٤٠.

(وأنت الدهر لا ترضى بحال)

وقوله الآخر:

مـتى تُـمْسـي وتصبـحُ مستـريحـاً
وأنـتَ الـدّهـرَ لا تَـرْضى بـحـالِ
وقـد يجري قليـلُ المالِ مجـرى
كـثيـرِ الـمـالِ فـي سـدِّ الـخِـلال
إذا كـانَ الـقـليـلُ يـسـدُّ فـقـري
ولـم أجـدِ الْكـثيـرَ فـلا أُبـالـي(1)

* * *

(يا خاطب الدنيا)

ومن رائق شعر أبي العتاهية الزهدي قوله يصف الدنيا وغرورها:

يـا خـاطبَ الـدّنيـا إلى نفسهـا
تَـنَـحَّ عـنْ خـطبـتِـهـا تَـسْـلَمِ
إنّ الـتـي تـخـطبُ غـرّارةٌ
سـريعـةُ العـرسِ مِنَ الْمـأْتـمِ(2)

* * *

(1) نفسه ٣٢٦.

(2) البيان والتبيين ٣/٤٧٦.

(سبحان ذي الملكوت)

ومنه أيضاً، قولـه مستفظعاً هول الموقف وفراق الحياة:

سـبحـانَ ذي الـملكـوتِ أيّـةُ لـيلةٍ
مخضتْ بـوجهِ صباحِ يومِ المـوقفِ
لـو أنَّ عـينـاً وهـمّـتْهـا نـفـيُهـا
مـا في الفـراقِ مُصَـوَّراً لم تـطرِفِ(١)

* * *

(ليس زاداً سوى التّقى)

ومن أسهل زهدياته وأبلغها دلالة، قوله:

أُذْنَ حَـيٍّ تَـسَـمَّـعـي
وَاسْـمـعـي ثـمّ عِـي وعـي
عـشْـتُ تـسـعـيـنَ حـجّـةً
ثـم وافـيـتُ مـضـجـعـي
أنـا رَهْـنٌ لِـمَـصْـرَعـي
فَـاحْـذري مـثـل مَـصـرعـي
لـيسَ زاداً سِـوى الـتّـقـى
فَـخُـذي مِـنْـهُ أوْدعـي(٢)

---

(١) نفسه ٣/٤٧٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٨. وعي: الأمر من وعي، للمؤنث.

(آخر هذا كلّه الموت)

ومن النسق عينه، قوله:

إسْمَـعْ فقـد أَسْمَعَـك الصَّـوْتُ
إنْ لـم تُبـادرْ فَـهُـوَ الْـفَـوْتُ
نَـلْ كـلَّ مـا شِئْتَ وعِشْ سـالمـاً
آخـرُ هـذا كـلِّهِ الـمـوتُ

* * *

(والتفّت الساق منه بالساق)

ومن شعره الزهدي ويبدو أثر القرآن الكريم فيه، قوله:

لَـوْ أنَّ عَبْـداً لـهُ خـزائِنُ مـا فـي
الأرضِ مـا عـاشَ خَـوْفَ إمـلاقِ
يـا عَـجَبـاً كُـلُّنـا يـحـيـدُ عـنِ
الـحـيْـنِ وكـلٌّ لِـحـيـنـهِ لاقِ
كـأنَّ حـيًّـا قـدْ قـامَ نـادِبُـه
والْـتَـفَّـتِ السّـاقُ مـنـهُ بِـالـسّـاقِ
واستـلَّ منه حيـاتَـه مَلَكُ الْمـوتِ
خـفـيّـاً وقـيـلَ مَـن راقِ

(١) المصدر نفسه ٤٧٨/٣.

(٢) البيان والتبيين ٤٧٩/٣. والإملاق: الفقر. والحين: المصير. والـراق: اسم الفاعل من رقاه، إذا شفاه بالرّقي.

(وما الموت إلا رحلة)

ومن أروع ما قال في الموت:

ومـــا الـمــوتُ إلاّ رحــلةٌ غـيــرَ أنّــه
مِنَ الْمنزلِ الفاني إلى المـنزلِ الباقي[1]

* * *

(ونلعب والدهر لا يلعب)

ومن رائع الشعر الزهدي قول أبي العتاهية:

أَنــلْهــو وأيّــامُــنــا تَــذْهَــبُ
ونــلعــبُ والــدّهــرُ لا يــلعــبُ
أيــلهــو ويــلعــبُ مَــنْ نــفــسُــه
تــمــوتُ ومَــنْ بــيــتُــه يــخــرب
تَــرى صُــوَرَ اللّهــوِ مســمــوحــةً
ولــكــنْ لــهــا رونــقٌ مُــذْهَــب
سيــصــدُقُ مَــن مــاتَ فــي هــجْــرِهِ
وقــد كــانَ فــي وصــلهِ يــكــذبُ[2]

* * *

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ص ١٦١. دار صعب. بيروت.

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٧. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م
والرونق: الصفاء والحسن والجمال.

(فعاش المريض ومات الطبيب)

ومن رائع زهده قوله:

نعى عنـدَ ظـلِّ الشّبـابِ المشيبُ
ونـادتْـكَ بِـاسْمِ سـواكَ الخـطوبُ
فـكُنْ مستعـدّاً لِـداعي الـمنـونِ
فـكـلُّ الـذي هـو آتٍ قـريـبُ
وقـبـلَكَ داوى الـطّبيبُ الـمريضَ
فعـاشَ المريضُ ومـاتَ الـطبيبُ[1]

* * *

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن جيد شعره الزهدي قوله:

إنّـمـا الـدُّنـيـا مـتـاعٌ زائـلٌ
فَـاقْـتَصِـدْ فيـه وَخُـذْ منـهُ وَدَعْ
عـجـبٌ لِـلدّهـرِ كـمْ مِـن أُمَـمٍ
قـد أبادَ الـدهـرُ والـدهـرُ جَـذَعْ
يـا أخَـا الْـمَيْـتِ الـذي شيَّـعـه
فـحـشـا الـتّـربَ عـليـهِ ورَجَـعْ

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

لـيـتَ شـعـري مـا تـزوّدت مِـنَ
الـزَّادِ فيـا هـذا لِيـومِ المـطّلَعْ[1]

* * *

(ورحى المنية تطحن)

وما أبلغ هذا البيت، على سهولته، يقول أبو العتاهية:

الـنـاسُ فـي غـفَـلاتِـهـمْ
وَرَحـى الـمـنـيَّـةِ تـطحـنُ[2]

* * *

محمود الوراق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن شعراء بني العباس الذين زهدوا في الحياة، ثم نسكوا وتابوا إلى ربهم من بعد شقوة وفساد ولهو، محمود بن حسن الوراق الذي وجد في الانقطاع إلى الله وعبادته، وفي القناعة بما قسم له من الرزق، سعادة ما بعدها سعادة. يقول الوراق مؤكداً على مبدأ القناعة والرضى بقسم الله:

مَـنْ كـانَ ذا مـالٍ كـثـيـرٍ وَلَـمْ
يَـقْنَـعْ فـذاكَ الـموسـرُ المعسِـرُ

(١) محلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٩. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م.
(٢) العقد الفريد ١/٣٣١.

وكــلُّ مــنْ كــان قــنــوعــاً وإنْ
كــانَ مُــقِــلاًّ فَــهُــوَ الــمــكــثــر
الــفقــرُ فــي النّفسِ وفيــهــا الغِــنــى
وفي غِنى النـفسِ الغِـنى الأكـبــرُ[1]

* * *

(هي الدنيا)

ويعجب الـوراق للذين يؤملون الخير والفلاح في الحياة الدنيا، فتراهم منصرفين إليها، يعملون لها بما أوتوا وهم عن الآخرة غافلون، فيقول محذراً:

هِــيَ الــدُّنْيَــا فَــلا يَــغْــرُرْكَ مِــنْــهــا
مــخــايِــلُ تستفِــزُّ ذوي الْــعــقــولِ
أقــلُّ قــليــلِهــا يَــكْــفــيــكَ مِــنــهــا
ولــكــنْ ليس تــصــنــعُ بــالــقــليــلِ
تــشــيــدُ بــهــا وتــبــنــي كــلَّ يــومٍ
وأنــتَ على الــتّــجــهُّــزِ والــرّحــيــلِ
وَمَــنْ هــذا الــذي يُــبــقــي عــلــيــهــا
مضــارِبَــهُ بِمُــدْرجَــةِ السّــهــولِ[2]

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٠٧.

(٢) شعر الزهد ص ٢٣٦. والمخايل: الظنون والدلائل، جمع مخيلة، وتستفز: تثير. ومضاربه: منازله، ومكان ضربه وإقامته ورحيله.

(كأنها لا ترى ما يصنع القدر)

وينظر الوراق بعين البصيرة إلى ما تفعله الأيام بالناس، وما تتصرف به الأقدار فيخلص إلى القول الحكمي الزهدي:

لا ينفـعُ الجِـدُّ والتَّشميـرُ والحـذرُ
خُطَّ الـكـتـابُ فـلا وِرْدٌ ولا صَـدَرُ
تـستـعجـلُ الـنّفسُ آمـالاً لتبلغهـا
كـأنَّهـا لا تـرى مـا يصنـعُ القـدر[١]

* * *

(كذاك انتقال الدول)

حتى إذا ما أيقن الوراق بدنو الأجل، وفوت الأوان، وما تحدثه الأيام بصروفها قال باكياً:

بـكـيْـتُ لِـقُـرْبِ الأَجَـلْ
وبـعـد فـواتِ الأَمَـلْ
وواقـدِ شـيـبٍ طَـرا
بـعِـقـبِ شـبـابٍ رحـل
شـبـابٌ كـأنْ لـم يـكُـنْ
وشَـيـبٌ كـأنْ لـم يـزل

(١) شعر الزهد، ص ٢٣٩ . والتشمير: النهوض والتهيؤ.

طــواكَ بــشـيــرُ الــبـقــا
وجــاء نــذيــرُ الأجــل
طــوى صــاحــبٌ صــاحــبــاً
كــذاكَ انْـتــقــالُ الــدُّوَل[1]

* * *

(يا ناظراً)

ومن رقيق شعر الوراق في الزهد، قوله محذراً من هول الذنب:

يــا نــاظــراً يــرنــو بِـعـيـنَـيْ راقــدِ
ومشــاهــداً لِــلأمــرِ غيــرَ مشــاهِــدَ
مـنَّـيْـتَ نـفـسَــكَ ضِـلّةً وأبـحْـتهــا
طــرقَ الـرَّجــاءِ وهنَّ غيـرُ قــواصــد
تصــلُ الذّنـوبَ إلى الذنـوبِ وترتجي
درْكَ الـجنــانِ بـهــا وفــوزَ العــابــد
ونــســيــتَ أنَّ الــلَّهَ أخــرجَ آدمــاً
منهــا إلى الـدنيــا بـذنبٍ واحــدِ[2]

---

(١) عيون الأخبار ٢/٣٢٦.

(٢) الكامل ١/٢٣٥. ويرنو: ينظر. وضلة: توهماً. والدرك: الإدراك والوصول.

(أليس عجيباً)

ومن جيد شعره، وهو في غاية السهولة، قوله:

أَلَـيْسَ عـجـبـاً بـأنَّ الْـفـتـى
يُصـابُ بِبعضِ الّـذي في يـديْـهِ
فَـمِـنْ بـيْـنِ بـاكٍ لـهُ مـوجـعٍ
وبـيـنَ مُـعَـزٍّ مُـغِـذٍّ إلـيـه
ويسلبُـه الـشَّيْـبُ شـرْخَ الـشبـابِ
فـليسَ يُـعـزِّيـهِ خـلقٌ عـليـه[1]

* * *

الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)

(فلست أول مجنون بمرزوق)

من الفقهاء الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومن أجدر بهذه الدعوة من الفقهاء، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه، فهو يزري على أصحاب المال جمعهم للمال في ما هم يقضون العمر، سادرين عن تقوى الله، مشغولين بجمعه وتحصيله، وفي الغالب فإن أصحابه من الجهلة ممن لا نصيب لهم من العقل

(١) البيان والتبيين ٣/٤٨٤.

أو العلم أو الخلق القويم. يقول الشافعي، وشعره يتميز بالسهولة والوضوح.

لو كنتَ بالعقلِ تُعطى ما تريدُ بهِ
لما ظفرْتَ مِنَ الدُّنيا بِمسروقِ
رُزقْتَ مالاً على جهلٍ فعشْتَ به
فلستَ أوّلَ مجنونٍ بِمرزوقِ[1]

* * *

(ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقول ثانية، في المعنى نفسه تقريباً:

يُريدُ المرءُ أنْ يُعطى مُناهُ
ويأبى اللّهُ إلاّ ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي
وَتَقْوى اللَّهِ أفضلُ ما اسْتفادا[2]

* * *

(ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً)

ويقول ثالثة:

---

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. تحقيق زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت ١٩٦١ م.

(٢) حلية الأولياء ١٥١/٩. للأصفهاني. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.

وأنــطقــتِ الــدّراهمُ بــعــدَ صــمْــتٍ
أنــاســاً بعــد مــا كــانــوا سُكــوتــا
فمــا عــطفــوا على أحــدٍ بِــفضــلٍ
ولا عــرفــوا لــمِكــرمُــةٍ ثــبــوتــا(١)

* * *

(قنعت بالقوت من زماني)

ومن الشعر الدال على قناعة الشفاعي وزهده في الحياة الدنيا قوله:

قــنعْــتُ بــالــقــوتِ مِــن زمــانــي
وصــنْــتُ نــفــســي عــن الــهــوانِ
خــوفــاً مــنَ الــنــاسِ أنْ يــقــولــوا
فــضــلُ فــلانٍ عــلى فــلانِ
مَــنْ كــنْــتُ عــن مــالِــه غــنــيّــاً
فــلا أُبــالــي إذا جــفــانــي(٢)

* * *

(كم ضاحك)

ومن جيد شعر الشافعي، قوله محذراً من يجعل همّه جمع

---

(١) المصدر نفسه ٩/١٤١.

(٢) الديوان ص ١٦٢.

المال، والانشغال بأمور الدنيا، دون التفكير بالآخرة، وبالموت الذي يحيط بنا جميعاً. يقول الشافعي:

كَمْ ضاحكٍ والْمنايا فوقَ هامتهِ
لو كانَ يعلمُ غيباً ماتَ مِن كَمَدِ
مَنْ كانَ لم يُؤْتَ عِلماً في بقاءِ غدٍ
ماذا تفكُّرُهُ في رِزْقِ بعدِ غدِ[1]

* * *

(وقد قسم الرحمن رزق الخلائق)

والذي عزّز روح الزهد في نفس الشافعي، هو ثقته الكاملة بالله تعالى ذكره، فهو الرازق، والمقدّر، والمفضل. يقول:

توكّلْتُ في رزقي على اللّهِ خالِقي
وأيقنْتُ أنَّ اللّهَ لا شكَّ رازقي
وما يكُ مِن رزقٍ فليسَ يفوتُني
ولو كانَ في قاعِ البحارِ العوامق
ففي أيِّ شيءٍ تذهبُ النفسُ حَسْرةً
وقد قسّمَ الرّحمنُ رِزقَ الخلائِق[2]

* * *

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. والهامة: الرأس. والكمد: الغم.

(٢) نفسه ١٣٨.

(وما كل نفس به راضية)

ومن الشعر الزهدي الذي يعتمد صاحبه فيه على التوكل، والرضى بما يرزق الخالق، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، ما قاله منصور بن إسماعيل التميمي، وكان من فقهاء الشافعية بمصر. يقول منصور:

إذا قـال لـي قـائـلٌ كيـفَ أنـتَ
أقـولُ لـهُ أنـا فـي عـافِـيَـةْ
لِأشيـاءَ منهـا الـرِّضـا بـالكفـافِ
ومـا كـلُّ نـفسٍ بـهِ راضـيَـةْ(١)

* * *

(ألا إن رزق الله ليس يفوت)

وهو، أي منصور التميمي، يؤكد على ثقته الكبيرة بالله تعالى، وعلى أنه هو المكفل بالأرزاق، فلا ييأسنّ أحد من رحمته تعالى، ولا يستأثرن بمال يزيد عن حاجته. يقول منصور:

ألا إنَّ رزقَ الـلَّهِ لـيسَ يـفـوتُ
فـلا تـرغَـنْ إنَّ الـقـليـلَ يـفـوتُ

(١) بهجة المجالس، للقرطبي ٢/٣٠٤. دار الكتاب العربي. بيروت.

رضيتُ بقسْمِ اللَّهِ حظّاً لأنّه
تكفَّلَ رزقي مَن له الْمَلَكُوتُ
سأقنعُ بالمالِ القَليلِ لأنّني
رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يموتُ[1]

* * *

(إني قنعت بقوت)

ومن أصدق الشعر المعبر عن حالة الزهد، لدى منصور التسيمي، هذا الشعر السهل الذي يصور حال صاحبه أفضل تصوير.

إنـي قنعْتُ بِقوتٍ
ولُبْسِ ثَوْبٍ مُرَقَّعْ
ولم يكنْ لي عيالٌ
نفسي لهمْ تتفجَّعْ
ولا بنونَ صِغارٌ
قلبي لهم يتقطَّع
ولا صديق مُصافٍ
فراقَه أتوقَّعْ

(١) نفسه ٢/٣٠٤. والملكوت: الملك الواسع.

وقــد عــزفْــتُ عــنِ
الـلَّهْــوِ والـغِـنـى والـتَّـمــتُّــع[1]

* * *

(والوزر على مكتسبيه)

ويؤكد منصور التميمي المعنى نفسه فيقول، وهو من أسهل الكلام، وأبسط العبارة:

مَنْ كَفاهُ مِن مساعيهِ رغيفٌ يَغْتَذيـهِ
ولـهُ بيتٌ يُـواريـهِ وثـوبٌ يكتسيــهِ
فلما ذا يبذلُ العِرْض لِنَذْلٍ أو سفيهِ
كلُّ مالٍ منعتْهُ السِّيرَ أيـدي باذليـهِ
فَهْوَ لِلوارثِ والوِزْرُ على مكتسبيهِ[2]

* * *

(فأمرك عندي عجيب عجيب)

ومن أعجب العجب في نـظر منصور التميمي، أن يـرى الإنسان أن الموت آتٍ لا بد منه، وأن الذي يذهب لا يعود، ومع ذلك فإن هذا الإنسان سادر في لهوه وغيّه. يقول منصور:

---

(١) بهجة المجالس ٢/ ٢١١، وعزفت: ملت وانصرفت.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣١٤.

إذا كُنْتَ تزعمُ أنَّ الفراقَ
فراقَ الحياةِ قريبٌ قريبُ
وأنَّ المقدّمَ ما لا يفوتُ
على ما يفوتُ مصيبٌ مصيبُ
وأنتَ على ذاكَ لا تَرْعوي
فأمرُكَ عِندي عجيبٌ عجيبُ(١)

* * *

أحمد بن يوسف (ت ٢١٣ هـ)

(ما هذه الدنيا بدار إقامة)

ومن الذين دعوا إلى ترك متاع الدنيا، والتزود بالعمل الصالح، والعمل للآخرة، أحمد بن يوسف بن صبيح، وكان مولى لبني عجيل، في العصر العباسي الأول؛ ومن شعره الزهدي المتضمن لهذه المعاني قوله:

ما بعدَ شيبِكَ غيرُ لومِكَ فاتَّخِذْ
زاداً لِنَفْسِكَ فالرَّحيلُ قريبُ
ما هذِه الدنيا بِدارِ إقامةٍ
لا توطننَّ بها وأنتَ غريب

(١) عيون الأخبار ٢/٣٠٤.

أينَ الأُولى أهلُ السيادةِ والنُّهى
والمطعمونَ وما تدرُّ حَلوب
أخنى الزمانُ عليهمُ بشعارِه
وسقَتْهُمُ كأسَ المنونِ شَعوبُ
وغداً جزاءُ سعادةٍ أو شقْوةٍ
أفلا يُنيبُ إلى الرَّشادِ مُنيب
والموتُ يغتالُ النفوسَ ولم يزلْ
لِلموتِ داعٍ للنفوس طَلوب(١)

* * *

الخزيمي

(لكل أناس من طوارقها الثكل)

ومن أروع شعر الزهد الداعي إلى نبذ الدنيا والعمل للآخرة، ما قاله أبو يعقوب إسحاق بن حسان، مولى بني خريم، زمن العباسيين في العصر الأول؛ يقول الخزيمي:

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا متاعاً لِغيرِها
فقدْ شَمَّرَتْ حَذَّاءَ وَانْصرمَ الْحَبْلُ

---

(١) أخبار الشعراء، للصولي ص ١٦٩. وشعوب: اسم للمنية. وينيب: يميل ويثوب.

وهـل أنتَ إلّا هـامـةُ اليـومِ أو غــدٍ
لكـلِّ أناسٍ مِن طـوارقِهـا الثّكـلُ(٢)

* * *

(ولكن لهذا الرزق وقت موقت)

ويقول من شعر آخر يدخل في باب الزهد عن طريق التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه في الرزق المقدر:

ولـكنْ لِـهــذا الـرّزقِ وقتٌ مـوقّـتٌ
يُـقَسِّـمُــهُ بـيــنَ الْبَـرِيَّــةِ واهــبُــهْ
فليسَ بِعجـزِ المـرْءِ أخــطأه الـغنـى
ولا بـاحتيـالٍ أدركَ المـالَ كـاسبُـهْ(٣)

* * *

أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م)

(وأنت غداً فيها تموت وتقبر)

ومن أروع الشعر الحكمي والزهدي معاً، ما قاله أبو تمام، واسمه حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي النابه الذكر؛

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٢/٨٥٧. وشمرت: نهضت. وحذّاء: صارمة وقاطعة. وانصرم: انقطع. والهامة: طائر: أسطوري يخرج من رأس القتيل مطالباً بالثأر.

(٢) بهجة المجالس ١/١٤٥. والبرية: الخلق.

وقد غلب عليه التفكير بالحياة والموت، فخلص إلى أن العمر قصير جداً، وأن الدهر يكيد للإنسان، فلا مندوحة من العمل الصالح، فلا يستحق العمل من أجله والسعي للآخرة قبل فوات الأوان. يقول أبو تمام، وشعره من أجود الشعر، وأفصحه، وأروعه:

أَلِلْعُمْرِ في الدُّنيا تَجِدُّ وتعمرُ
وأنتَ غداً فيها تموتُ وتُقْبرُ

تلقّحُ آمالاً وترجو نِتاجَها
وعمُركَ مِمّا قد تُرَجِّيهِ أَقْصَرُ

وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوؤه
وليلتُه تنعاك إنْ كنتَ تشعر

تحومُ على إدراكِ ما قد كُفِيتَهُ
وتقبلُ بالآمالِ فيه وتُدبِر

ورزقُكَ لا يعدوك إمّا مُعَجَّلٌ
على حالِه يوماً وإمّا مؤخّر

فلا تأمنِ الدّنيا إذا هيَ أقبلتْ
عليكَ فما زالتْ تخونُ وتدبر

وشمِّرْ فقد أبدى لكَ الموتُ وجهَهُ
وليسَ يَنالُ الفوزَ إلاّ المشمّر

تـذكَّـرْ وفكِّـرْ في الـذى أنتَ صـائـرٌ
إلـيـهِ غـداً إنْ كـنـتَ مِـمَّـنْ يفـكـر
فـلا بـدَّ يـومـاً أنْ تصيـرَ لِحُفْـرَةٍ
بـأثنـائهـا تُطوى إلى يـومِ ينشرُ
تـطهَّـرْ وألْحِقْ ذنبَـكَ اليومَ تـوبـةً
لـعلّكَ منـه إنْ تـطهَّـرْتَ تـطهـر
فهـذي اللّيـالي مُـؤْذِنـاتُـك بِالْبِلى
تـروحُ وأيّـامٌ كـذاكَ تـبـكّـر
وأخـلِصْ لِـدينِ اللَّهِ صـدراً ونـيّـةً
فـإنّ الـذي تُخفيـهِ يـومـاً سيـظهـر
وقـد يستـرُ الإنسـانُ بـاللّفظِ فـعلَه
فيـظهـرُ عنه الـطّرفُ مـا كـانَ يستـر
تـأمَّـلْ وفكِّـرْ في الـذي أنتَ صـائـرٌ
إليـه غـداً إنْ كنتَ مِمَّـنْ يفـكّـر[1]

* * *

(وأبقى صريعاً بين أهلي جنازةً)

ومن أروع شعر الزهد، وأجوده، وأفصحه عبارة، ما قاله أبو

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٤. وشمّـر: انهض وتهيأ. وانـظر أيضاً: معـادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٢٠ - ٤٢١.

تمام، وقد تصور نفسه ينازع سكرات الموت، ثم ميتاً مسكنه اللحد، حيث الوحشة وطول الثواء. يقول أبو تمام تـائباً من ذنبه، نادماً على ما سوّف من عمله:

أَلَـمْ يَـأْنِ تـركي لا عـليَّ ولا لِـيـا
وعـزمي على مـا فيـهِ إصـلاحُ حـالِيـا
وقـد نـالَ منّي الشّيْبُ وابيضَّ مفـرِقي
وغـالتْ سـوادي شُهْبُـهُ في قـذالِيـا
أصـوّت بـالـدّنيـا وليستْ تُجيبُني
أحـاولُ أنْ أبـقى وكـيـفَ بـقـائـيـا
وأبقى صـريـعـاً بيـنَ أهلي جِنـازةً
ويحـوي ذَوُو الميـراثِ خـالصَ مـاليـا
أقـولُ لِنفسي حينَ مـالتْ بِصفـوِهـا
إلـى خـطراتٍ قـد نتجْنَ أمـانـيـا
هبيني مِنَ الـدُّنيـا ظفـرْتُ بِكـلِّ مـا
تـمنّيتُ أو أُعـطيتُ فـوقَ أمـانيـا
أليسَ الليـالي غـاصبـاتي بِمهجتي
كمـا غصبتْ قبلي القـرون الخـواليـا
ومُسْكِنَتي لحـداً لـدى حفـرةٍ بهـا
يـطولُ إلى أخـرى الليـالي ثـوائيـا

أخـــافُ إلا هـي ثـمَّ أرجـو نــوالَــهُ
ولـكنَّ خـوفـي قـاهـرٌ لِـرَجـائيـا
على إثْـرِ مـا قـد كـانَ منّي صبـابـةً
لـيـاليَ فـيهـا كـنتُ لِـلَّهِ عـاصيـا
فـإنّـي جـديـرٌ أنْ أخـافَ وأتّـقـي
وإنْ كنتُ لم أُشركْ بِذي العرش ثانيـا
وأدّخـر التقـوى بمجـهـودِ طـاقتي
وأركب في رُشْـدي خِلافَ هـوائيـا[1]

* * *

ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م)

(تتجافى جنوبهم)

ومن جيد شعر الزهد، ما قاله أبو الحسن علي بن العباس، الشاعر العباسي، والمعروف بابن الرومي. وشعره يتميز بالسهولة وغلبة نزعة المنطق عليه، وهذا ما نلاحظه في أبياته الزهدية التالية التي يصور بها حالات العابدين الزاهدين:

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٦. شرح التبريزي. دار المعارف ١٩٦٥ م. ويأن: يحن. وغالت: صرعت. وشهبه، كناية عن الشيب، والقذال: ما بين الرأس وأصل العنق. واللحد: جانب القبر. والصبابة: الهوى والميل.

تـتـجـافـى جُـنـوبُـهُـمْ
عـنْ وطـيءِ الْـمـضـاجـعِ
كُـلُّهُـمْ بـيـنَ خـائـفٍ
مـسـتـجـيـرٍ وطـامـعِ
تـركـوا لـذّةَ الْـكَـرى
لِـلعـيـونِ الـهـواجـعِ
ورعَـوْا أنـجـمَ الـدُّجـى
طـالـعـاً بـعـدَ طـالـعِ
لـو تـراهـمْ إذا هـمُ
خـطـروا بـالأصـابـعِ
وإذا هُـمْ تـأوّهـوا
عـنـدَ مـرِّ الـقـوارعِ
وإذا بـاشـروا الـثَّـرى
بـالـخـدودِ الـضّـوارعِ
واسـتـهـلّتْ عـيـونُـهـم
فـائـضـاتِ الـمـدامـعِ (١)

(١) ديوان ابن الرومي ٤/١١٩ . دار صادر بيروت ١٩٦٥ م وتتجافى : تتجنب . والمضاجع: أمكنة النوم والإضطجاع. ومستجير: لائذ. طالب من يجيره. والكرى: النوم. والهواجع: جمع هاجعة، وهي النائمة. والقوارع: الشدائد، جمع قارعة، وهي يوم القيامة. واستهلت: ابتدرت، وسكبت.

(حتى متى نشتري الدنيا بآخرة)

وله من جيد الشعر، وهو يفيض حكمة وموعظة وزهداً، قوله:

حتّى متى نَشْتري الدُّنيا بِآخِرةٍ
سفاهةً ونبيعُ الْفَوْقَ بِالدُّونِ
معلّلينَ بآمالٍ تخادِعُنا
وَزُخْرفٍ مِن غرورِ العيشِ موصونِ(1)

* * *

(فهل أنت عن غيّة مرتدع)

واستحسن من ابن الرومي قوله الزهدي:

ألا ليسَ شيبُكَ بِالْمُنْتَزَعْ
فهلْ أنتَ عنْ غَيَّةٍ مرتدِعْ
وهلْ أنتَ تاركُ شكوى الزمانِ
إذا شئتَ تشكو إلى مستمعْ
فشيْبُ أخي الشَّيبِ أمنيّةٌ
إذا ما تناهى إليها هَلَعْ(2)

* * *

(1) شعر الزهد ص ٣٠٦.

(2) رسالة الغفران، ص ٣٦.

(رضيت بدون الكفاية قوتاً)

ومن الذين عزفوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة والتهجد، أبو عقال بن علوان الذي ترك شعراً في الزهد يتميز بالبساطة والعفوية والسهولة، يقول ابن علوان مؤكداً ما قلناه:

أَجِبْ داعِيَ اللَّهِ لا تعصِهِ
فقد جادَ بالنّصح جهراً ونادى
ولا تلْهَ بالموبقاتِ التي
أبادتْ بوائقُها مَن تمادَى
رضيتُ بِدونِ الكفايةِ قوتاً
وبِاللَّهِ عنْ كلِّ خَلْقٍ عِمادا
فأضحى الملوكُ وأهلُ النّعيمِ
أقلَّ الْبَرِيَّةِ عندي عِدادا
وأسقطْتُ لومي عنِ الْعالمينَ
فَمَنْ شاءَ ودَّ وَمن شاءَ عادى
فلم أرَ عيشاً كعيشِ القنوع
ولم أرَ مثلَ القنوعِ مُرادا(١)

---

(١) رياض النفوس ١/ ٤٢٨. والبوائق: أحداثها ونكباتها.

(لعمرك ما الدنيا بشَيء أريده)

وما أحسن ذمّه الدنيا ووصفه لها، إذ يقول:

لَعَمْـرُكَ مـا الـدّنيـا بشـيءٍ أريـدُهُ
سـوى أنَّهـا نـزْلٌ وأنّـي مسـافـرُ
إذا أقـبلَتْ يـومـاً عـليَّ بِـوُدِّهـا
فـإنّي بمـا تُـوليـه بـالبرِّ كـافـرُ(١)

* * *

بكر بن حمّاد (ت ٢٩٦ هـ)

(كأنك قد أمنت من المعاد)

ومن جيد شعر الزهد، وأرقه، وأصدقه، ما خاطب به بكر بن حماد الزناتي، من تاهرت بالجزائر، نفسه. يقول بكر متأسياً بأخبار الماضين الذين لم تدم لهم الحياة:

نـهـارٌ مـشـرقٌ وظـلامُ لـيـلٍ
أَلَـحّـا بِـالْـبـيـاضِ وبِـالـسَّـوادِ
هُمـا هَـدَمـا دَعـائمَ عُمْـرِ نـوحٍ
ولـقـمـانٍ وشـدّادٍ وعـاد
فيـا بكـرَ بنَ حمّـادٍ تـعجَّـبْ
لِـقـومٍ سـافـروا مِـن غـيـرِ زاد

(١) المصدر نفسه ١ /٤٣٧.

تبيتُ على فراشِك مطمئناً
كأنّك قد أمِنْتَ مِنَ الْمعاد[1]

* * *

(فصفوها لك ممزوج بتكدير)

ومن شعر بكر بن حماد الزهدي الذي يصور فيه حرص الناس على الحياة الدنيا، وقد فاتهم أن الرزق مقدر، وليس للإنسان إلا ما هو في ظهر الغيب، قوله:

النّاسُ حرصٌ على الدّنيا وقد فسدتْ
فَصَفْوهَا لكَ ممزوجٌ بِتكديرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عليها لا تساعدُه
وعاجزٍ نالَ دنياهُ بِتقصير
لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمتْ
وإنما أدركوها بالمقادير
لو كانَ عنْ قدرٍ أو عنْ مغالبةٍ
طارَ البُزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ[2]

* * *

(١) شعر الزهد ص ١١٧. وعاد وشداد، من أشداء العرب الأقدمين. ولقمان، هو لقمان بن عادياء، الحكيم العربي القديم.

(٢) بهجة المجالس ١/١٤٣. والبزاة، جمع بازٍ، وهو من الطيور الكاسرة.

(فقولوا له يزداد في الطول والعرض)

وللتأكيد على ما ذهب عليه بكر في قوله السابق، يقول:

تبارَكَ مَنْ ساسَ الأمورَ عباده
وذلَّ لـهُ أهـلُ السمٰواتِ والأرضِ
ومن قَسَّمَ الأرزاقَ بينَ عبادِهِ
وفضّلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فمنْ ظنَّ أنَّ الحرصَ فيها يزيدُه
فقولوا له يزدادُ في الطّولِ والعرضِ[1]

* * *

(والدهر ذو فنون)

ومن بليغ القول في الزهد والتأسي بأخبار الماضين قول بعضهم:

ما لذّة العيش والفتى للدهر والدهر ذو فنون
أهلك لسماً وقبل طسماً أهلك عاداً وذا جدون
وأهل جاسم ومأرب وحيّ لقمان والتّقون
واليسر للعسر والغنى للفقر والحيّ للمنون[2]

* * *

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧.

(٢) البيان والتبيين ١/١٠٠. وطسم وعاد من الأمم والقبائل الغابرة. وذا حدون، من ملوك اليمن.

(أترضى بسبق المتقين إلى الله)

ومن الذين لهوا في حياتهم، وأسرفوا كثيراً في البذخ والترف والمجون، الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة يوماً وليلة، ثم خلع، فقتل، عبد الله بن المعتز، الشاعر المتفنن، والعالم بالبديع.

عبد الله بن المعتز، هذا، ترك شعراً في الزهد والحكمة والتوبة، وهو على جانب كبير من الجودة والفصاحة وحرارة العاطفة، وصدق الوجدان. يقول ابن المعتز:

إلى أيِّ حينٍ كنْتَ في صَبْوَةِ اللاّهي
أمـا لَـكَ في شيءٍ وُعِظْتَ بـهِ نـاهي
ويـا مـذنبـاً يـرجـو مِنَ اللَّهِ عَفْـوَهُ
أتَـرْضى بِسبقِ المتّقيـنَ إلى اللَّهِ[٢]

* * *

(فعمرك أيام تعدّ قلائل)

ويقول، من بوح وجداني صادق، وشعر رائق، ونلمس فيه التوبة والندامة والحسرة:

---

(١) الديوان ص ٤٥٣. دار بيروت ١٩٦١ م.

نَسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ
فأيّامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحِلُ
ولمْ أرَ مثلَ الموتِ حتى كأنَّهُ
إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطل
وما أقبحَ التّفريطَ في زمنِ الصِّبا
فكيفَ بهِ والشّيبُ في الرّأسِ شاعل
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فَعُمْرُكَ أيّامٌ تُعَدُّ قلائِل(١)

* * *

(والعمر في لا شيء يذهب)

ومن جيد شعره الزهدي المعبر، ويتميز بالسهولة، قوله:

جَدَّ الزّمانُ وأنتَ تلعبْ
والعمرُ في لا شيءَ يذهبْ
كم قد تقولُ غداً أتوبُ
غداً غداً والموتُ يُقربْ(٢)

* * *

(١) المستظرف من كل فن مستظرف ص ٣١٣. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.

(٢) الديوان ص ٩٨.

(فليس يخطيء ما قد قدر الله)

ومن شعره الزهدي الرائع قوله:

مُسَهَّدٌ في ظلامِ اللّيلِ أوّاهُ
عَضَّتْهُ لِلدّهْرِ أنيابٌ وأفواهُ
إنْ كانَ يُخطيءُ سمعي ما أُقَدِّرُه
فليسَ يُخطِيءُ ما قدْ قَدَّرَ اللّهُ[1]

* * *

الأليري (ت ٣١٢ هـ)

(وذي غنى)

ومن الذين دعوا إلى العزوف عن الغنى، وجمع المال، والاكتفاء بالقليل من الزاد، أبو جعفر أحمد بن عمرو، الأندلسي، المعروف بالألبيري، وكان محدثاً ومتفقهاً. يقول في هذا المعنى، مؤكداً على أن لا شيء يدوم أو يبقى على حاله:

وَذِي غِنى أَوْ هَمَتْهُ هِمَّتُهُ
أنَّ لِغنى عنهُ غيرُ منفصلِ

(١) الأغاني ١٤١/٩.

فَــجَــرَّ أذيــالَ عُــجْـبِــهِ بَــطراً
وَاخْــتــال لِــلكــبــريــاءِ فــي حُــلَل
بــرَتْــهُ أيــدي الــخــطوبِ بَــرْيَــةً
فَــاعْتــاضَ بعــدَ الجــديــدِ بــالسَّمــلِ
كــفى بِــنَيْــلِ الــكفــافِ مــنــه غنىً
عنــهُ فكــنْ منــهُ غـيــرَ محــتفــلِ[1]

* * *

(يا عامر الدنيا)

ومن جيد شعره الزهدي، قوله:

يــا عــامــرَ الــدّنيــا لِتَسْكُنَهــا ومــا
هــي بــالّــتي يَــبقــى لــهــا سُــكّــانُ
تــغنــى وتــبقــى الأرضُ بــعــدَكَ مــا
يبقــى المنــاخُ وتــرحــلُ الــرُّكبــانُ
أأُسَــرُّ فــي الــدُّنــيــا بــكــلِّ زيــارةٍ
وزيــارتــي فيــهــا هي الــنُّقــصــانُ[2]

* * *

سريح بن يوسف (ت ٢٣٥ هـ)

(فالله يرزق لا عقل ولا حسب)

ومن الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيـا، وإلى عدم

(١) شعر الزهد ص ٩٧. والسمل: البالي.
(٢) المرجع نفسه ص ١١٧.

السعي وراء الرزق. بالكد، والكدح، سريح بن يوسف بن إبراهيم البغدادي، وكان من المحدثين. يقول سريح:

يا طالبَ الرِّزقِ في الآفاقِ مجتهداً
أبقيْتَ نفسَكَ حتى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسعى لِرزقٍ كفاكَ اللَّهُ مُؤْنَتَهُ
أقصِرْ فرزقُكَ لا يأتي بهِ الطَّلَب
فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ مِمَّا في خزائنِهِ
فاللَّهُ يرزقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ[1]

* * *

ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ)

(والناس بعد الحادثات سماع)

ومن أرق شعر الزهد، وأصوبه ما قاله علي بن محمد بن منصور، الأندلسي، والمعروف بابن بسام إذ هو راعه الشيب، فندم على ما فاته، وقال تائباً نادماً:

أقصرْتُ عنْ طلبِ البطالةِ والصِّبا
لما علاني لِلمشيبِ قِناعُ

(١) بهجة المجالس ١/١٤٠. وشفك: أسقمك. والمؤنة: القوت وما يدّخر منه.

فدعِ الصِّبا يا قلبُ وَاسْلُ عن الْهوى
ما منكَ بعدَ مشيبِك اسْتِمْتاعُ
وانْظُرْ إلى الدنيا بعينِ مودِّعٍ
فلقددنا سفرٌ وحانَ وداع
والحادثاتُ موكّلاتٌ بِالْفتى
والناسُ بعدَ الحادثاتِ سماعُ(١)

* * *

ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

(وكان مني الموت قيد يد)

ومن الذين تابوا إلى ربهم، وندموا على ما قصروا به في جنب الله، ثم راحوا يتصورون أنفسهم وقد تخطفهم الموت، أحمد بن محمد بن عبد ربه، الأندلسي، وصاحب «العقد الفريد» إذ يقول من الشعر الزهدي:

مَنْ لي إذا جُدْتُ بينَ الأهلِ والولَدِ
وكان مِنِّي نحو المَوتِ قيدُ يدِ
والدّمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةٌ
فالدمعُ في صَبَبٍ والنفسُ في صعُدِ

(١) شعر الزهد ص ٢٦٠.

ذاك القضاءُ الـذي لا شيء يَصـرِفُـهُ
حتى يفـرِّقَ بينَ الـرّوحِ والجَسـدِ[1]

* * *

(لا بد لله من إنجاز ما وعدا)

ويقول ثانية، تائباً نادماً:

بـادِرْ إلى التَّـوْبَـةِ الخلصاءِ مجتهـداً
والمـوتُ وَيْحَكَ لم يمـددْ إليـكَ يـدا
وَارْقُبْ مِنَ اللَّهِ وعـداً ليسَ مُـخْلِفُـهُ
لا بـدَ لِلَّهِ مِن إنجـازِ مـا وَعَـدا[2]

* * *

(إذا اخضر منها جانب جفّ جانب)

ويقول ابن عبد ربه ذاما الدنيا، ثالثة:

ألا إنّـمـا الـدنيـا نضـارةُ أيْكَـةٍ
إذا اخْضَـرَّ منهـا جـانبٌ جَفَّ جـانبُ
هي الـدّارُ ما الآمـالُ إلاّ فجـائـعٌ
عـليهـا ولا الـلّذّاتُ إلاّ مـصـائـب

(١) العقد الفريد ١/٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه ١/٣١٩. والخلصاء: الخالصة والنصوح. يخلفه: يؤجله وينقضه.

فـلا تكتحِـلُ عينـاكَ فيهـا بِعَبْـرَةٍ
على ذاهبٍ منهـا فـإنّـكَ ذاهـب[1]

* * *

(فإن الحزن عاقبة السرور)

ومن أرق شعره الزهدي، وأصدقه لوعة ولهجة، قوله مخاطباً نفسه وقد تصورها ما تزال عاكفة على اللهو والفجور:

أتـلهـو بـيـنَ بـاطـيـةٍ وزيـرِ
وأنـتَ مِـنَ الْـهـلاكِ عـلى شَـفـيـرِ
فـيـا مَـنْ غَـرَّهُ أمـلٌ طـويـلٌ
يُـؤَدِّيـهِ إلـى أجـلٍ قـصـيـر
أتـفـرحُ والـمـنـيّـةُ كـلَّ يـومٍ
تُـريـكَ مكـانَ قبـرِكَ في القبـورِ
هي الـدنيا فـإنْ سَـرَّتْـكَ يـومـاً
فـإنَّ الـحـزنَ عـاقبـةُ الـسّـرورِ
ستسلب كـلَّ مـا جَمَّعْتَ منهـا
كـعـاريـةٍ تُـرَدُّ إلـى الـمـعـيـر
وتـعـتـاضُ الـيـقـيـنَ مِـنَ الـتَّـظَنّـي
ودار الـحـقِّ مِـن دارِ الـغـرور[2]

---

(1) العقد الفريد ٣١٢/١. والأيكة، واحدة الأيك، الشجر المعروف. والعبرة: الدمعة.

(2) المصدر نفسه ٣٢٤/١. والباطية: زجاجة الخمر. والزير: وتر العود.

(طويت زماني برهة وطواني)

ومن جيد شعره الزهدي وقد أشرف على الموت، يقول ابن عبد ربه:

كِلانِي لِما بي عاذِلَيَّ كَفاني
طُويْتُ زماني برهةً وطواني
بليتُ وأبليْتُ اللّيالِيَ مُكْرَهاً
وَصَرْفانِ لِلأيّامِ مُعْتَوِرانِي
ومالِيَ لا أُبْلى لِسبعينَ حجَّةً
وعشرٍ أَتَتْ مِن بعدِها سَنَتانِ
وإنّي بِعونِ اللَّهِ راجٍ لفضلِهِ
ولي مِن ضمانِ اللَّهِ خيرُ ضمانِ
ولستُ أُبالي مِن تباريحِ علّتي
إذا كانَ عقلي باقياً ولِساني(١)

* * *

(يا ربِّ غفرانك)

ومن قول ابن عبد ربه في التوبة والزهد والاعتراف بالذنب:

يا وَيْلَنا مِن موقفٍ ما بِهِ
أخوفُ مِنْ أنْ يعدلُ الحاكمُ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/١٣٤. والصرفان: الليل والنهار. واعتوراني: تداولاني والتباريح: الآلام. وكلاني: أتركاني.

أبـا رزُ الـلَّهَ بِـعـصـيـانِـه
وليسَ لـي مـن دونِـه راحـمُ
يـا ربِّ غُـفْـرانَـكَ عـن مـذنـبٍ
أسـرفَ إلاّ أنّـه نـادمُ(١)

* * *

ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ/ ٨٩٤ م)

ومن الشعر الزهدي القائم على أساس روح التوكل في الرزق على الله يقول عبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا:

ومَـنْ ظنَّ أن الـرزق يـأتي بحيـلة
فـقـد كـذّبـتْـهُ نـفسُـهُ وهـو آثِـم
يَفـوتُ الغِنى من لا يَنـامُ عن السّرى
وآخـرُ يـأتـي رزقَـهُ وهـو نـائِـم
سـأَصْبِـرُ إن دهـرٌ أنـاخَ بكـلكـلٍ
وأرضَى بحكمِ اللَّهِ فـاللّهُ حـاكم(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ٣١٨/١.

(٢) بهجة المجالس ١٣٨/١.

(ولا مزرٍ بحظّي تأخّري)

ومن أشعار الزهد والقناعة التي طلع بها علينا أبو عبادة البحتري، قوله:

قنعْتُ وجانبْتُ المطالعَ لابساً
لباسَ محبٍّ لِلنّزاهةِ مُؤْثرِ
وآنسني علمي بأنْ لا تقدُّمي
مفيدي ولا مُزْرٍ بحظّي تأخُّري
ولوْ فاتني المقدورُ مِمّا أريدُه
بِسَعْيٍ لأدركْتُ الّذي لم يُقدَّرِ[1]

* * *

(فاستغنِ بالله)

من أشهر الزهاد الأتقياء، والصلحاء النجباء أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، المروزي الأصل، البغدادي النشأة، وشعره يتضمن آراء وأفكاراً تدعو إلى الاستغناء بالله، والاكتفاء بالقليل

---

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤ .

القليل من المتاع، فإن متاع الدنيا قليل في الآخرة. يقول بشر مزهّداً:

أَقْسمْتُ بِـالـلَّهِ لَـرَضْـخُ الـنَّـوى
وشـربْ مـاءِ الأعـيُـنِ الـمـالـحَـةْ
أعـزُّ لِـلإنـسـانِ مِـن حـرصِـهِ
ومِـن سؤالِ الأوجـهِ الـكـالـحـةْ
فَـاسْـتـغْـنِ بـالـلَّهِ تـكـنْ ذا غِـنـى
مـغـتـبـطاً بـالـصَّـفْـقَـةِ الـرّابِـحـة
مـنْ كـانـتِ الـدُّنـيـا بـهِ بَـرَّةً
فـإنَّـهـا يـومـاً لـهُ ذابـحـة[1]

* * *

(فلست أسلك إلا أوضح الطرق)

ويقول مؤكداً على وجوب الأخذ بالقناعة والكفاف:

قـالـوا قنعْتَ بِـذا قلتُ القنـوعُ غِنى
ليسَ الْغِنى كثـرةَ الأمـوالِ والْـوَرِقِ
رضيتُ بـاللَّهِ في عُسْري وفي يُسـري
فلستُ أسلكُ إلاّ أوضـحَ الـطُّرُقِ[2]

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢٣٧/٣. ورضح: كسر ودقّ. والكالحة: العابسـة. وبرّة: وفيه.

(٢) شعر الزهد، ص ١٠٠.

(ولا عز أعز من القناعة)

وفي المعنى ذاته يقول بشر:

أفادتْني القناعةُ أيَّ عِزٍّ
ولا عزٌّ أعزُّ مِنَ الْقناعَةْ
فَخُذْ منها لِنفسِكَ رأسَ مالٍ
وَصَيِّرْ بعدَها التّقوى بضاعَةْ(1)

ومن أجود شعر بشر في الزهد قوله:

ومِن عجبِ الدّنيا تُبَقّيكَ لِلْبلى
وأنكَ فيها لِلبقاءِ مريدُ
وأيُّ بني الأيامِ إلّا وعنده
منَ الدهرِ ذنبٌ طارفٌ وتليدُ
ومنْ يأمنِ الأيامَ أما اتّساعها
فخطرٌ وأما فجعُها فعتيدُ
إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ عنِ الهوى
فإنَّ فطامَ النفسِ عنه شديدُ(2)

* * *

---

(1) نفسه ص ١٠١.

(2) الأغاني ١٢/ ١٣٩.

تـخـلّيْـتُ عـنْ دنـيـايَ إلاّ ثـلاثـةً
دفـاتـرَ مِن علمٍ وبـيتـاً ومـسْجِـدا
غنِيتُ بهـا عنْ كـلِّ شيءٍ حـويْتُـهُ
وكـنتُ بـهـا أُغنـي وأقنـى وأسْـعـدا
وكم قــدْ رأيْنا مِن عــزيـزٍ مشــرَّفٍ
يبيتُ مُقِّـراً بـالـضّـلالـةِ مُجْـهَـدا
فَجَتْـهُ الْمنـايـا وهْـو في حينِ غَفْلَةٍ
فَـأَضْحى ذليلاً في التّـرابِ مُوَسَّـدا(١)

* * *

(وحبّست نفسي بين بيتي ومسجدي)

ولعل في هذين البيتين التاليين ما يؤكد المعنى السابق خير تأكيد، فيقول:

وأصبحْتُ في ما كنتُ أبغي مِنَ الْغِنى
إلى الـزُّهدِ في الـدُّنيا الـدَّنِيَّةِ أحْـوَجـا
وحَبَّسْتُ نفسي بينَ بيتي ومسـجِـدي
وقد صرْتُ مثلَ النَّسْرِ أهوى التعرّجا(٢)

---

(١) نفسه ٩٥. وفجته: أصلها: فجأته، بحذف الهمز. وأقنى: أكثر قنية وغنى.
(٢) نفسه ص ٩٦.

(فليس بما لك منه نقيرا)

وزيادة في التأكيد على الزهد بالحياة، يورد الشاعر قوله :

وكَمْ مِنْ طـالِبٍ لِلمـالِ يَسْعـى
ويـركَبُ فـي مـطالبـهِ البُحـورا
فـعـادَ يـودُّ أنْ لـوْ كـانَ أمسـى
فـليسَ بِمـالِـكٍ منـهُ نـقـيـرا[1]

* * *

كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م)

(والنار قد يطفئها النافخ)

ومن ألطف معاني الزهد، ما قاله كشاجم، وهو لقبه، واسمه أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب، أحد أبرع شعراء الوصف في العصر العباسي الثاني. يقول كشاجم :

ومستـزيـد في طِـلابِ الْغِـنى
يـجمـعُ لَحْمـاً مـا لَـهُ طـابـخُ
ضـيَّـعَ أمـوالاً بـمـا يـرتـجـي
والـنّـارُ قـد يُـطْفِئُهـا الـنّـافِـخُ[2]

---

(١) نفسه ص ٩٦. والنقير: نكتة صغيرة في النواة، وهي كناية عن أحقر الأشياء.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ٥١٩.

(فما سؤلنا إلاّ المودة من أجر)

ومن الشعر الزهدي ما قاله حرب بن المنذر بن الجارود، وهو التالي:

فَحَسْبي مِنَ الـدُّنيـا كفـافٌ يُقيمُـني
وأثـوابُ كـتّـانٍ أزورُ بـهـا قَـبْـري
وحُـبّي ذَوِي قُـرْبى النـبيِّ مـحمّـدٍ
فمـا سُـؤْلُنـا إلاّ المـودّةُ مِنْ أجـر[1]

* * *

(واحسرتي)

ومن أرق شعر الزهد وأبلغه قول بعضهم:

واحسـرتي في يـوم يجمـعُ شـرّتي كَفَنٌ وَلَحـدُ
ضيّعتُ مـا لا بُـدّ منه بـالـذي لي منـهُ بُـدُّ[2]

* * *

(١) البيان والتبيين ٥٥٣/٣. والبيت الثاني مصداق للآية الكريمة: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».
(٢) رسالة الغفران ص ٤١ . والشرّة: الحدّة.

(ففيم التزاحم في المركز)

ومن نادر الشعر الزهدي، وألطفه إشارة، وأعمقه معنى، ما قاله الفيلسوف الإسلامي أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي، ويظهر فيه أثر الرياضة والفلسفة واضحاً. يقول الفارابي:

أخـي خَـلِّ حَـيِّـزَ ذي بـاطـلٍ
وكُـنْ لِـلـحـقـائـقِ فـي حَـيِّـز
فـمـا الـدّارُ دار خـلودٍ لَـنـا
ولا المـرءُ في الأرضِ بِـالْـمُعْـجِـز
وهـل نـحـنُ إلّا خـطوطٌ وقـعْـنَ
عـلى كُـرَةٍ وَقْـعَ مـسـتـوفـزِ
يـنـافسُ هـذا لِـذاكَ عـلى
أقـلَّ مِـنَ الـكَـلِم الـمـوجـزِ
مـحيطُ الـسـمـواتِ أَوْلـى بِـنـا
فـفيمَ التّـزاحـمُ فـي الـمـركَـزِ(١)

* * *

(١) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٨. والحيز: المكان. والمستوفز: المتهيء للقيام.

(مهلاً فما اللذات إلا خدع)

ومن ألطف أشعار الزهد والوعظ، ما قاله أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو المشهور في مباحث الفقه والتفسير والأدب، يقول أبو الفرج واعظاً:

يا نادباً أطلالَ كلِّ نادي
وباكياً في إثْرِ كلِّ حادي
مستلَبَ القلبِ بِحُبِّ غادةٍ
غدتْ فإنَّ البيْنَ بالفؤادِ
مهلاً فما اللّذّاتُ إلّا خُدَعٌ
كأنَّها طيفُ خيالٍ غادي(١)

* * *

(يا ساكن الدنيا تأهب)

ومن أفضل شعره الزهدي، قوله:

يا ساكن الدّنيا تأهّبْ
وَانْتظرْ يومَ الفراقِ

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ١/ ٤٢٥. القاهرة ١٩٥٢ م
والبين: الفراق. والغادي: السائر صبحاً.

وأعـدَّ زاداً لـلرّحيـلِ
فسوفَ يُحدى بالرّفاقِ
وَابْكِ الرّبوعَ بأدمعٍ
تنهلُّ مِنْ سُحُبِ الأماقِ
يا مَنْ أضاعَ زمانَهُ
أرضِيتَ ما يَفنى بِباقِ(١)

* * *

ابن أبي زندقة (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)

(إنها ليست لحيّ وطنا)

ومن الشعر الذي يعبر فيه أبو بكر محمد الطرطوشي، المعروف بابن أبي زندقة الأندلسي، عن زهده بالحياة الدنيا، والدعوة إلى العمل الصالح، قوله، وهو يتميز بالسهولة:

إنَّ لِلَّهِ عباداً فُطُناً
طَلَّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتنَا
فَكَّروا فيها فلمّا علموا
أنّها ليستْ لِحَيّ وطنا

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي ١/ ٤٤. مخطوطة الأزهر رقم ٦٧٦٥. ويحدى: يغنّي لهم حداء. والأماق: محاجر العيون. جمع مؤقة.

جـعـلوهـا لُـجّـةً واتّـخـذوا
صـالحَ الأعمـالِ فيها سُفُنـا[1]

* * *

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م)

(فما يقبل اليوم منك اعتذار)

ومن الشعر الذي يندرج في دائرة الزهد، أو ما يشبه الزهد، ما قاله الرحالة الأندلسي الشهير، محمد بن أحمد بن جبير:

خـلقْـتَ الـعـذارَ بِـشَـيْـبِ الـعـذارِ
فـمـا يُـقـبَـلُ الـيـومَ مـنـكَ اعـتـذارْ
وقـالـوا الـمـشـيـبُ وقـارُ الـفـتـى
وهـذا الـمـشـيـبُ فـأيـنَ الـوقـار
جـلا صبحُـه عنـكَ ليـلَ الشّبـابِ
فـشـمـسُـكَ مُـؤْذِنَـةٌ بِـاصْـفِـرار
أراكَ صـحـبْـتَ حـيـاةَ الـغـرورِ
وتـسـحـبُ جـهـلاً ذيـولَ اغْـتـرار
ألـسـتَ تـرى كـدراً صـفـوَهـا
ونجمـكَ قـد مـالَ يـبـغـي انْكـدار

(١) تاريخ الآداب العربية ١٦٩/٢. وفطن: أذكياء واللجّة: معظم الماء.

وكـيـف تـنـامُ عـلى غـرّةٍ
وسـيفُ الـمنيّـةِ مـاضـي الـغِـرار
فـلو كـنتَ تـحـذرُ صـرفَ الـرّدى
إذاً لَـنَفـى الـنّـومَ عنـكَ الـجِـذار
عـبـرتَ مـراحـلَ عـمـرِ الأشـدِّ
ولـسـتَ أرى لـكَ فـيهـا اعـتبـار
وجـرتَ بـهـا عن طـريـقِ الـهـدى
ضـلاةً وتـعـدو عـلى أنْ تُـجـار
أتـاكَ الـرّحـيـلُ فـشـمِّـرْ لـهُ
فـإمّـا إلـى جَـنَّـةٍ أو لِـنـار
وكـيـف تـقـرُّ بِـدنـيـاكَ عـيـنـاً
ولـم تـدرِ أيـنَ يـكـونُ الـقـرار(١)

* * *

(وما الدنيا لساكنها بدار)

ولابن جبير، هذان البيتان الرائعان من الشعر الزهدي:

أراكَ مِـنَ الْـحـيـاةِ عـلى اغـتـرارِ
ومـالـكَ بـالإنـابـةِ مِـن بـدارِ

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٢١٢. ج ١. مجلد ٢٩. ١٩٨٥ م.
والعذار: جانب اللحية. وخلع عذاره: إبهمك في الغيّ، والغرة: الغفلة.
والغرار: القالب يضرب عليه النّصال.

وتطمعُ في البقاءِ وكيفَ تبقى
وما الدّنيا لِساكِنها بِدارِ[1]

* * *

(وما يرجى لتوبته قبول)

وله أيضاً:

يُنيلُ المرءَ تبصرةٌ وذكرى
إذا ما ابْيضَّ فَوْداه وشابا
وما يُرجى لِتوبتهِ قبولٌ
إذا مزجَ الرّياءَ بها وتابا[2]

* * *

ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١ م)

(فأنت يا مولاي أولى به)

من نادر شعر الزهد في الحياة، والتوبة من الذنب، والتضرع إلى الله والتورع عن المحارم، ما قاله أبو الحسن يحيى بن عيسى، المعروف بابن مطروح، وكان ملازماً لملوك

(١) المرجع نفسه ص ٢١٣. والبدار: الإسراع.

(٢) المرجع نفسه ص ٢١١. والفودان، مثنى فود، وهو جانب الرأس مما يلي الأذن.

بني أيوب في مصر والشام. يقول ابن مطروح، مناجياً ربه، تائباً إليه، وهو من أسهل الشعر وأبينه:

يا أيُّها الشّامخُ في قُرْبِهِ
يا أيُّها الظاهرُ في حُجْبِهِ
بِالْبابِ كلبٌ وجِلٌ خائفٌ
مِن طولِ ما أسلفَ مِن ذنبِه
جاءكَ يستغفر ما قد جنى
مُلْقىً مِنَ الذُّلِّ على جنبِهِ
وهْو معَ الخوفِ شديدُ الرَّجا
فأنتَ يا مولايَ أَوْلى بِهِ
مُنَكِّسٌ مِنْ خَجَلٍ رأسَهُ
باسطُ خدَّيْهِ على تُرْبِه
فهلْ لهُ غيرُكَ مِن راحمٍ
هل يرحمُ الكلبَ سوى رَبِّه
وهل له فيكَ طُمَأْنينةٌ
تدخلُ بالأمنِ على قلبِهِ[1]

* * *

---

(١) ديوان ابن مطروح ص ١٢١ . مطبعة الجوانب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.

بعضهم

(وكل الذي دون الممات قليل)

ومن أروع ما قيل في الزهد والحكمة، ما قاله بعضهم:

لِكُلِّ اجتماعٍ مِنْ خليليْنِ فُرقةٌ
وكلُّ الذي دونَ المماتِ قليلُ
وإنَّ افْتقادي واحداً بعدَ واحدٍ
دليلٌ على أنْ لا يدوم خليلُ(١)

* * *

بعضهم

(والفوز فوز الذي ينجو من النار)

ومن بديع الشعر قول بعضهم في التوبة والزهد:

إنَّ الشَّقِيَّ الّذي في النّارِ منزِلُهُ
والفوزُ فوزُ الذي يَنْجو مِنَ النَّارِ
يا ربِّ أسرفْتُ في ذنبي ومعصيتي
وقد علمْتُ يقيناً سوءَ آثاري
فاغفرْ ذنوباً إلٰهي قد أحطْتَ بِها
ربَّ العبادِ وزَحْزِحْني عنِ النّارِ(٢)

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

الباب الثالث

في ما بعد العصر العباسي

ابن الثَّردة (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)

(يا أيها النائم)

ومن أعجب أخبار علي بن إبراهيم المعروف بابن الثردة الواعظ بمسجد دمشق في القرن الثامن الهجري، أنه كان يتخذ كارة، أي صرّة، يحملها تحت إبطه فلا تفارقه ليلاً ولا نهاراً، وكانت تضمّ ما قاله من قصائد وموشحات في الغزل والوعظ والزهد، وإن منها هذه الأبيات الموشحة الزهدية:

يا أيُّها النائمُ كَمْ هذا الرُّقادْ
إنْتَبِهْ كمْ نَوْمْ
انتبهْ مِن ذا الكرى يا ذا الجمادْ
تلحقْ بِالْقومْ
وتأهّبْ لِغَدٍ يوم المعادْ
يا لَهُ مِنْ يَوْمْ

وَافْعَلِ الْخيرَ لِتحظى بالنّجاحْ
لا تَكُنْ كَسلانْ
واجتهدْ فالمجتهدْ يلقى الفلاحْ
وَيَرى الإحسانْ
قد تقضّى العمرُ دَعْ لَهْوَ الصِّبا
أيُّها الغافلْ
لا تكنْ مِمَّنْ إلى الجهلِ صَبا
تَعِسَ الجاهلْ
كلُّ شيءٍ تهبُ الدّنيا هُبا
ليسَ بِالطّائلْ
كم حريصٍ خلّفَ الدّنيا وراحْ
لابسَ الأكفانْ
وأخو الفقرِ تُوُفِّي فَاسْتراحْ
قلبُه التّعبانْ(١)

* * *

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٢٠٥ ـ ٢٠٦. وهبا: مقصور هباء، وهو الغبار، ويوم المعاد: يوم القيامة. والكرى: النوم.

عمر الأنسي (ت ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م)

(رغبت عن الدنيا)

ومن شعر عمر بن محمد الإنسي، الأديب والشاعر اللبناني، قوله في الزهد:

رغبْتُ عنِ الدُّنْيا وزخرفِ أهلِها
وقلتُ لِنفسي إنّما العيشُ في الأُخْرى
فَدَعْني وزُهْدِيَ في الْحطامِ فإنّني
أرى الزّهدَ في الدّنيا هو الراحةُ الكبرى[1]

* * *

الحسن بن الهبل (ت ١٠٧٩ هـ)

(وإنما الآخرة المنزل)

وللحسن بن علي بن جابر الهبل اليمني، الذي اشتغل بالعلوم والآداب، شعر رائع في وصف الدنيا، يميل فيه إلى الزهد والوعظ والتأمل والمناجاة، يقول الحسن بن الهبل)

أينَ اسْتَقَرَّ السّفرُ الأوّلُ
عمّا قريبٍ بهمْ ننزلُ

(١) المرجع نفسه ٢/٣٢٨. والحطام: يريد به حطام الدنيا وزينتها.

مَـرُّوا سـراعــاً نـحـوَ دارِ الْـبَـقـا
ونــحــنُ فـي آثــارِهــم نــرحــلُ
مــا هــذهِ الــدُّنــيــا لــنــا مــنــزلاً
وإنّــمــا الآخــرةُ الــمــنــزلُ
قــد حــذّرتْــنــا مِـن تـصــاريـفـهــا
لـوْ أنّـنـا نـسـمـعُ أو نـعـقـل
يُــطـيـلُ فــيــهــا الــمــرءُ آمــالَــهُ
والــمــوتُ مِـن دونِ الــذي يــأمــل
يـحـلـو لـه مـا مـرَّ مِـن عـيـشِـهـا
ودونَـه لـو عـقـلَ الـحـنـظلُ
ألْـهَـتْـهُ عــن طــاعــةِ خــلّاقــه
والـلّـهُ لا يـلـهـو ولا يـغـفـل
يـا صـاحِ مـا لـذّةُ الـعيشِ بـهـا
والـمـوتُ مـا تـدري مـتـى يـنـزل
يـدعـو لـيَ الأحـبـابُ مِـن بـيـنـنِـا
يُـجـيـبُـه الأوّلُ فـالأوّل
يـا جـاهـلاً يـجـهـدُ فـي كـسـبِهـا
أغـرّكَ الـمـشـربُ والـمـأكـل
ويـا أخـا الـحـرصِ عـلى جـمـعِـهـا
مـهـلاً فَـعَـنْـهـا فـي غـدٍ تُـسـأل

لا تـتعـبَنْ فـيهـا ولا تـأسـفَـنْ
لِـمـا مـضـى فالأمـرُ مـسـتقـبل
مـا قـولُـنـا بيـنَ يـديْ حـاكـمٍ
يـعـدلُ في الـحكـمِ ولا يعـزل
مـا قـولُـنـا لِـلّهِ فـي مـوقـفٍ
يـخـرسُ فيـه الـمِصْـقَـعُ المِقْـوَل
وإنْ سُئِـلْنـا فـيـه عـن كـلِّ مـا
نـقـولُ في الـدنـيـا ومـا نـفـعـل
مـا الـفـوزُ لِلعـالـمِ في عـلـمِـه
وإنّـمـا الـفـوزُ لِـمَـنْ يَـعـمـلُ[1]

* * *

(رويدك من كسب الذنوب)

وله أيضاً:

رَوَيْـدَكَ مِن كسبِ الـذّنـوبِ فـأنتَ لا
تـطيقُ على نـارِ الجحيمِ ولا تَقْـوى

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبّي ٣١/٢. مكتبة خياط. بيروت والسفر: جماعة المسافرين. وتصاريف الدنيا: حوادثها. والحنظل؛ نبات مرّ والمصقع المقول: الخطيب البارع في القول والخطابة.

أتـرضى بـأنْ تَلْقى المهيمنَ في غــدٍ
وأنتَ بِـلا علمٍ لَـدَيْـكَ ولا تقـوى[1]

* * *

ابن عطيف (ت ١٠٨٩ هـ)

(وما يعنيك لا تهدم مشاده)

ومن الشعر الوعظي الزهدي المسمى بنظم التلقين، ما قاله حسن بن موسى المعروف بابن عطيف الدمشقي. يقول ابن عطيف:

تَـتَـبَّــعْ يــا فتـىً طُـرُقَ السّعــادةْ
فـتـلكَ إذا وصـلْتَ هـي الــسّعــادةْ
وجَنِّبْ نـفسَـكَ الـشُّبُـهـاتِ وَاصْبِــرْ
وفي مــا حـلَّ فَــالْـزمهــا الـزّهــادة
وحــبَّ الــلَّهِ آثــرْهُ وأحـســنْ
وقـمْ بِــالــواجـبـاتِ مِـنَ الْـعـبــادة
وعــظِّـم أمــرَهُ تــعــظيــمَ عــبـدٍ
تَــيَــقَّــنَ رحــلةً فــأعــدَّ زاده

(١) المصـدر نفسه ٢/٣٣. والمهيمن: اسم من أسمـاء الله تعـالى، ويعني القوي المسيطر.

ولا تـفـرحْ بمـا أُوتـيـتَ وَانْـدم
على التّفـريطِ عن طلبِ السعـاده
تـجنّـبْ مـا نـهـاكَ الـلّهُ عـنـه
ومـا يَعنيـكَ لا تـهـدمْ مُـشـاده
تصـوَّرْ بعـدَ مـوتِـكَ مـا تُـلاقـي
فـبـديُ الأمـرِ تـمـكـنُـه الإعـادة
وجنِّبْ نفسَـكَ الـدُّنـيـا فمنْ لم
يُحـاذرْهـا فـقـد ملكتْ قـيـادة
ومـهـمـا آذنَـتْ بِـصـلاحِ أمـرٍ
تـراه صـالـحـاً فَـاحْـذرْ فسـاده
وَرَجِّ الـخـيـرَ فـي الأحـوالِ إلاّ
لِـذي ذنـبٍ فـخـفْ وَاقْـدَحْ زنـاده
ومـهمـا أمكنـتْـكَ خـصـالُ خيـرٍ
فـآثِـرْهـا تـفـزْ وحُـزِ الإجـادة(1)

* * *

محمد الكواكبي (ت ١٠٩٦ هـ)

(حتّام في ليل الهموم)

ومن الشعر الزهدي الداعي إلى الإنابة لله، والتضرع إليه،

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٦٨.

قول محمد بن حسن الكواكبي، الحلبي، وكان مفتياً، وفقيهاً وشاعراً:

حَتَّامَ في لَيْلِ الهموم
زنادَ فكرِكَ تقْتَدِحْ
قلبٌ تحرَّقَ بالأسَى
ودموعُ عينٍ تنسفحْ
إرفقْ بنفسِكَ واعتصمْ
بحِمى المهيمنِ تنشرحْ
وَاضْرعْ له إنْ ضاقَ
عنكَ خناقُ حالِكَ تنفسح
ما أمَّ ساحةَ جودهِ
ذو محنةٍ إلاّ مُنِح
أو جاءَه ذو المعضلاتِ
بِمُغْلَقٍ إلاّ فُتِحَ
فدعِ الْهوى وَانْهج على
نهجِ السَّويِّ المتَّضِح
وَاسْمَعْ مقالةَ ناصحٍ
إنْ كنتَ مِمَّنْ ينتصح
ما تمَّ إلاَّ ما يريدُ
فدعْ مرادَكَ وَاطَّرِح

وَاتْــركْ وســاوسَــكَ الــتــي
شــغــلَتْ فــؤادَكَ تــســتــرحْ[1]

* * *

إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(يا عالم الأسرار)

ومن الشعر الوجداني الزهدي القائم على الرجاء واستعطاف العزّة الإلهية، ما قاله إسماعيل صبري باشا، الأديب والشاعر المصري. يقول إسماعيل مناجياً ربّه، ومتسائلاً ومستعطفاً:

يــا ربِّ أيـنَ تُـرى تُـقـامُ جـهـنّـمُ
لِــلظّالــمـيــنَ غــداً ولِــلأشــرارِ
لم يُبْقِ عفــوُكَ في السّمــواتِ العُلى
والأرضِ شــبــراً خــالــيــاً لِــلنّــار
يــا ربِّ أَهِّــلْني لِـفـضـلِكَ واكفنــي
شَــطَطَ الـعقــولِ وفـتـنـةَ الأفـكــار
وَمُـرِ الْـوجــودَ يشفَّ عنـكَ لِكيْ أرى
غـضبَ الـلّطيفِ ورحـمـةَ الـجبّـار

(١) خلاصة الأثر، للمحبي ٣/٤٣٨ ـ ٤٣٩.

يـا عـالمَ الأسـرارِ حَسْبي مـحنـةً

عـلمـي بـأنّـكَ عـالـمُ الأسـرار

أَخْلِقْ بِـرحمتِكَ الّتي تسـعُ الـورى

أنْ لا تـضيـقَ بـأعـظمِ الأوزارِ(١)

* * *

رشيد عطاالله (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(إنما الأكدار فيها شبه نوّ)

ومن الشعر الذي نظمه في صدر حياته في الزهـد وغرور الدنيا، رشيد يوسف عطاالله الأديب والشـاعر اللبناني، قوله من أبيات على رويّ الواو الساكنة:

عـاشقَ الـدّنيـا إلـى مـا أنتَ غَـوّ

قـلب أيّ ودّهـا ولـم يُـدَوّ

قـد ظننتَ مـاءَهـا يَـرْوي الـظّمـا

أتـرومُ الـرّيَّ والإنـاءُ صَـوّ

كـلُّ خـيـرٍ نـازحٌ عـنـهـا ألا

إنّـمـا الأكـدارُ فـيـهـا شبـهُ نَـوّ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٣٤٦. والأوزار: الذنوب، جمع وزر. ويشف: يرق ويظهر. والشطط: تجاوز الحدّ.

فبِجامِ الـرّاحِ تَسْقيكَ الـرّدى
وكـأيٍّ جـدحَـتْ سـمّـاً بِـخَـوّ

واذّكِـرْ فـي أربـعٍ لا تـنـسَـهـا
إنَّ ذِكـراهـا لِـنـورِ الـلّهِ كَـوّ

مـوتُ جـسـمٍ عـاجـلاً أو آجـلاً
ديـنُ نـفسٍ ثـم دارُ الْـخُـلْدِ أوْ[1]

* * *

حمزة الملك (القرن العشرون م)

(مولاي قد نامت عيون)

من أرق شعر التأمل في الوجود والزهد بالحياة، ما قاله حمزة الملك طنبل، الشاعر السوداني المعاصر، والرومنتيكي النزعة، من قصيدة يناجي فيها ربّه وأسماها: جوف الليل. يقول حمزة الملك:

مـولايَ قـد نـامـتْ عـيـونْ
وتـيـقّـظتْ أيـضـاً عـيـونْ

(١) نفسه ٢/٣٩٨. والغو: مخفف غوٍ، وهو الفصيل المهزول، كناية عن اللهو ودوّى. سار في الدو، وهي الفلاة. والصو: الفارغ، مخفف صوٍ والنو: المطر. وجدحت: خلطت. والخو: العسل. وهووها. عشقوها. وهووًا. سقطوا وماتوا. والكو: النافذة، مخفف كوّة.

نامت عيونُ الخائنينَ
وعينُ نجمكَ لا تخونْ
ترنو إلينا وهي ساهيةٌ
عنِ الدّنيا الخؤونْ
أتراه أذهلَها جلالُ
اللَّهِ أم مَرُّ القرونْ
أم أنَّ مَن فوقَ الثّرى
لا يسمعونَ ولا يعونْ
يا ويحَ نفسيَ وهي ترسفُ في سجونْ
آمنتُ أنَّ الفردَ فوقَ الأرضِ أحقرُ ما يكونْ
مولايَ لو خَيَّرْتَني لاَخْتَرْتُ أنّي لا أكونْ[1]

* * *

التيجاني البشير (القرن العشرون م)

(الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه)

وقريب من الشعر الآنف الذكر، ما يقوله معاصره التيجاني يوسف بشير، وهو الذي تأمل الوجود، وأشرف على تجلّيات الله تعالى في الكون والكائنات، يقول من أبيات له:

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٤٢٧.

كلُّ ما في الكونِ يمشي في حنايـاهُ الإلٰهْ
هـذهِ النّمـلةُ في رِقَّـتِهـا رَجْـعُ صَـداهْ
هـو يحيـا في حـواشيهـا وتحيـا في ثـراه
هـي إنْ أسلمـتِ الـرُّوحَ تلقَّـتْهـا يـداه
لم تمتْ فيهـا حيـاةُ اللَّهِ إنْ كنتَ تـراه
الوجودُ الحقُّ مـا أوسعَ في النّفسِ مـداه
والسّكونُ المحْضُ ما أوثقَ بالرّوحِ عُـراه
كلُّ ما في الكونِ يمشي في حَنايـاهُ الإلٰه
هـذه النمـلةُ في رقـتِهـا رجْـعُ صـداه
هـو يحيـا في حـواشيهـا وتحيـا في ثـراه
وَهْيَ إنْ أسلمتِ الـرّوحَ تلقَّـتْهـا يـداه
لم تمتْ فيهـا حيـاةُ اللَّهِ إنْ كنتَ تـراهْ[1]

(١) نفسه ٢/٤٢٨.

ثبت المصادر والمراجع

- أخبار الشعراء للصولي، جمع وتحقيق هـوارت دن. بغداد وبيروت.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، دار صعب. بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط بولاق وط دار الكتب.
- بهجة المجالس للقرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتاب العربي، بيروت.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية لرشيد يـوسف عطا الله، تحقيق علي عطوي، ط ١. دار عز الدين، بيروت ١٩٨٥ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
- حميد ثور: حياته وشعره. لرضوان النجار، رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي، مكتبة خياط بيروت.

- ديوان ابن الرومي، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان ابن مطروح، مطبعة الجوائب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.
- ديوان ابن المعتز، مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١ م. نشر دار بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان أبي تمام، شرح التبريزي تحقيق محمد عزام دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي العتاهية، دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي نواس تحقيق أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي. بيروت.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، المطبعة العلمية، القاهرة، طبعة منقحة ١٣١٩ هـ.
- ديوان بشار بن برد، شرح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.
- ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح التبريزي ط ١. دار القلم. بيروت.
- ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان الشافعي تحقيق زهدي يكن دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس. ط الكويت ١٩٦٢ م.

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب تحقيق محمد خان الفقي. مطبعة السنّة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ م.
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صعب بيروت ١٩٦٨ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري أ- تحقيق علي البجاوي. ط ١. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
ب- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٤. دار الجيل. بيروت ١٩٧٢ م.
- شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لعلي عطوي. ط ١. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر.
- العقد الفريد لابن عبد ربه أ- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٥ م.
ب- وشرح خليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- عيون الأخبار لابن قتيبة. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد مكتبة المعارف. بيروت.
- مجلة معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٤ - ١٩٨٥ م.
- المحاسن والأضداد للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٩ م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب

الأصبهاني، دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م.
- المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر للسيد محسن الأمين بيروت ١٤٠١ هـ.

الفهرس

الباب الثالث

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٨٣٧٧٤٣ - ٤٦٠٧٤٣

هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى اطلاع القاريء على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب في الزهد، على امتداد أعصر الأدب العربي. ولئن كان من أهم ما يعلق بالذهن من معاني الزهد، الرغبة عن الشيء، وعدم الحرص عليه، والقناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، فإن ثمة معاني أخرى قد لا تقل أهمية عن الأولى، وهي طبعت شعر الزهد بطابعها المميز فدفعت به قدماً إلى الأمام، وبوأته مكانة عالية في الشعر العربي، عنينا الكفّ عن المحارم، والتوبة النصوح إلى الله، والتضرع إليه، ونهي النفس عن الهوى.. وفي جميع الأحوال فإن الغاية من هذا الكتاب، وكما ألمعنا من قبل، هي اطلاع القارىء على أروع ما قيل في الزهد، مما يهذّب النفس، ويزيدها رقة وشفافية وصفاء، هذا فضلاً عما يرضي الذوق، ويثير الإحساس بروعة الأداء الشعري والجمال التعبيري.